جامعة الأزهر الشريف
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
قسم الأديان والمذاهب

بحث بعنوان

الواقعية وموقفها من الدين

إعداد
دكتور / إسماعيل عبد العليم علي
المدرس بقسم الأديان والمذاهب بالكلية

التلخيص:

من خلال هذه الدراسة يمكن التأكيد على العديد من النتائج من أهمها ما يلي:

يبدأ البحث بتعريف الواقعية لغة واصطلاحا، ثم ذكر أهم المراحل التي مرت بها الواقعية عبر التاريخ، ثم بيان موقف الواقعية من الدين وموقف الإسلام من الواقعية، وخلص البحث إلى النتائج التالية:

١- أنّ الفلسفة الواقعية باعتبار أنّها فلسفة مادية، فإنّها ذات جذور عميقة تَضرب في التاريخ الإنساني منذ أمدٍ بعيدٍ؛ خاصة المجتمع اليوناني القديم.

٢- أنّ إنكار الدين والتحرر من مبادئه ليس وليد هذا العصر، وإنما وجدت له شواهد تاريخية في كثير من المجتمعات قديمًا وحديثًا.

٣- أنّ الكنيسة الغربية لعبت دورًا هامًا في تأجيج الهجوم على الدين بداية من العصور الوسطى ومرورًا بالعصر الحديث، وذلك بسبب سطوتها.

وتسلطها على رقاب البلاد والعباد مما نتج عنه وجود مقاومة شرسة للكنيسة عبرت عنها بقوة الثورة الفرنسية؛ التي أزاحتها عن سلطانها وأراحت المجتمع من جبروتها.

٤- أنّ الفلسفة الواقعية في العصر الحديث نبتت في بيئة مُعادية للدين ومُعلِيةً من قيمة الأفكار المادية مما ساهم في انطلاق الفلسفة الوضعية الواقعية التي أسسها (أوجست كونت) بعيدًا عن الدين، بل ومُستعلية عليه.

٥- ثَبَتَ تاريخيًا أن الفلسفة لم تكن معادية للدين على طول الطريق، وإنما كانت متساوقة معه بصورةٍ أو بأخرى. ومن هنا فإن الهجمة الشرسة في العصر الحديث على الدين من قبل الفلسفات الغربية خاصة الفلسفة الوضعية الواقعية، كانت هجمةً لم يكن لها مثيل من قبل؛ وهذا يرجع إلى حالة القحط الفكري والديني الذي عاشت فيه المجتمعات الغربية تحت سطوة الكنيسة وجبروتها عبر تاريخها المرير.

الكلمات الدلالية:

الواقعية-موقف-الدين

المُقَدِّمَـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .... **أما بعـــد،،،**

لقد شاء الله . تعالى . أن لا يكل الإنسانَ لعقله في التعرف عليه . سبحانه وتعالى . مع أنّ معرفته . جلّ في علاه . لا تحتاج إلى حجة أو دليل، فهي فطرة في النفس البشرية، فطر الله عليها الإنسان قبل أن ينزل إلى هذه الحياة، مصداقًا لقوله . تعالى . **ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ** [1] ، وقوله . ﷺ . **"مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ"**[2]، كما أنّ الدين يمثل أهم سمات هذه الفطرة، مصداقا لقوله . تعالى . **ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼ.**[3]

ومع هذا فقد تنكّب بعض البشر الطريق وأبوا إلا أن يسيروا خلف عقولهم غير مدركين أنّ العقلَ محدود بالزمان والمكان، وهو غير مؤهل للبحث فيما لا مجال له فيه.

وقد كان اليونان والرومان هم أبرز مثال على ذلك التخبط الذي شقيت به الإنسانية من بعدهم جيلًا بعد جيل. ومع أنّ أحفادهم من الغربيين في العصر الحديث كانوا هم أعلم من غيرهم بما وقع فيه الآباء والأجداد من تخبط فكري وضلال عقلي، إلا إنهم أبوا إلا السير في هذا الطريق متذرعين بطغيان الكنسية وجبروتها فيما تدعو إليه وتقدمه للمجتمع من نصوص محرفة هي أبعد ما تكون عن رسالة المسيح عليه السلام.

وقد ظل الأمر على هذا المنوال حتى قيام الثورة الفرنسية ١٧٩٨م، حيث أطاحت بالكنيسة ورجالها، وجعلت نهاية ظلمهم حسرة وعاقبة أمرهم خسراً. وهنا انطلق الفرنسيون لا يألون على شيء تحت راية فلسفة ضالة استغلت الظروف الراهنة لتقدم نفسها كبديلٍ عن الدين الذي أطاحت برجاله الثورة الفرنسية، وهذه الفلسفة هي التي أسسها الفيلسوف الفرنسي (أوجست كونت) تحت اسم الفلسفة الوضعية أو الواقعية. وقد حاول أن يجعل

---

(١) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٢) صحيح البخاري: حديث ١٣٥٨، الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل البخاري، ١١٨/٢، حسب ترقيم فتح الباري، ط. دار الشعب – القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

منها مصدر إلهام للمجتمع الفرنسي بعيدًا عن الدين الذي رأى أنه قد فقد صلاحيته ولم يعد قادرًا على قيادة المجتمع في عصر العلم. بل إن الأمر لم يقف عند حدود إنكار الدين والزعم بعدم صلاحيته، وإنما دعا (أوجست كونت) إلى ديانة جديدة تحت اسم "ديانة الإنسانية" لتكون بديلًا عن المسيحية؛ ليس في المجتمع الفرنسي فحسب وإنما في كافة أنحاء العالم.

ومن هنا فقد استخرت الله . تعالى . وقررت دراسة هذه الموضوع تحت عنوان (الواقعية نشأتها وتطورها وموقفها من الدين)، وذلك للأسباب التالية:

١- أنَّ الفلسفة الوضعية الواقعية التي أسسها (أوجست كونت ١٧٩٨م-١٨٥٧م) يجهل الكثير من الباحثين عداءها الشديد للدين، والنيل منه، فضلا عن الوقوف له بالمرصاد.

٢- أنّ (أوجست كونت) مؤسس الفلسفة الواقعية بَرَزَ للباحثين كعالم اجتماع ولم يبرز بشكلٍ واضحٍ كفيلسوف أسّس فلسفة مادية إلحادية أُطلِق عليها "الفلسفة الوضعية" لأنّها من وضعه، كما أُطلِق عليها "الواقعية" لارتباطها بالواقع وتماهيها معه.

٣- أنّ الفلسفة الواقعية مع كونها فلسفة مادية إلحادية؛ إلا إنها لا تبدو كذلك لكثير من الذين يتعرّضون لها بالشرح والتحليل، متعامين عن خطورتها على الدين، ومتساهلين في تقديمها كفلسفة تعالج الواقع وتتفاعل مع قضاياه المختلفة.

٤- أهمية تتبع الفكرة الواقعية وتفاعلها مع الواقع وحقائقه، سواء في المرحلة اليونانية القديمة أو مرحلتي العصور الوسطى والعصر الحديث وبيان ما يتوافق منها مع الإسلام.

٥- رصد علاقة الفلسفة الواقعية بالدين عبر مراحلها المختلفة، ووزن هذه الفلسفة بميزان الإسلام، لكشف ما بها من عوار وضلال.

٦- إن **ديانة الإنسانية** التي دعا إليها (أوجست كونت) لم تأخذ حظها من الدراسة والبحث لأنها بالنسبة للكثير ديانة مجهولة. ومن هنا فقد أردت كشف زيفها وضلالها وعرضها على ميزان الإسلام ليعلم الجميع أن هذه الديانة المزعومة بدعة ضالة لم تعرف لها الفلسفة في تاريخها مثيلًا أو شبيها.

منهج البحث في هذا الموضوع

لقد سارت الدراسة في هذا البحث من خلال العديد من المناهج العلمية من أهمها ما يلي:

١-المنهج التاريخي. ٢- المنهج التحليلي.

٣- المنهج الوصفي. ٤- المنهج العقلي.

هذه أبرز المناهج التي تناول من خلالها الباحث دراسة الواقعية في هذا البحث المتواضع، الذي أسأل الله ـ تعالى ـ أن ينال السداد والقبول.

خطة البحث

جاءت خطة البحث من خلال مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، على الوجه التالي:

المقدمة: وتشتمل على أسباب اختيار الموضوع، ومنهج البحث فيه، والخطة البحثية في هذا الموضوع.

المبحث الأول: التعريف بالواقعية لغة واصطلاحًا. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالواقعية في اللغة.

المطلب الثاني: التعريف بالواقعية في الاصطلاح.

المبحث الثاني: أهم المراحل التي مرت بها الواقعية عبر التاريخ.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الواقعية في العهد اليوناني القديم.

المطلب الثاني: الواقعية في العصور الوسطى.

المطلب الثالث: الواقعية في العصر الحديث وأبرز صورها

المبحث الثالث: موقف الواقعية من الدين. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الواقعية وإنكار الدين والزعم بعدم صلاحيته.

المطلب الثاني: الواقعية والدعوة لديانة الإنسانية بديلًا عن الدين.

المبحث الرابع: موقف الإسلام من الواقعية. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان موقف الإسلام من الواقعية في رؤيتها للواقع المشاهد.

المطلب الثاني: بيان موقف الإسلام من إنكار الواقعية للدين والزعم بعدم صلاحيته .

المطلب الثالث: بيان موقف الإسلام دعوة الواقعية لديانة الإنسانية

الخاتمة، وتشتمل على ما يلي:

أولًا: النتائج.   **ثانيًا:** التوصيات.   **ثالثًا:** أهم المراجع.

وصلِ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

❋ ❋ ❋

المبحث الأول
التعريف بالواقعية لغة واصطلاحًا

وفيه مطلبان:

المطلب الأول
التعريف بالواقعية في اللغة

المطلب الثاني
التعريف بالواقعية في الاصطلاح

المطلب الأول
التعريف بالواقعية في اللغة

الوَاقِعِيَّة في اللغة: ترجع في أصلها إلى الفعل وَقَعَ المُكَوّن من الواو والقاف والعين، وهذا الفعل ومشتقاته جاء في اللغة على عدة أوجه من أهمها ما يلي:

– **وَقَعَ** بمعنى سقط (يُقال وقع الطير على أرض أو شجر) أي سقط، ويُقال (وقع في يده) أي سقط في يده. وجاءت بمعنى سبَّ (يُقال وقع فلان في فلان وقيعة ووقوعًا) سبَّه واغتابه وعابه. وجاءت أيضًا بمعنى مشي (يُقال وقع الرجل) مشي مشية التلفيق، وهو رافع يده إلى فوق.

– كما جاءت بمعنى الحرب (يُقال واقعَهُ مواقعة) أي: حاربه، وتواقع الأعداء: وقع بعضهم في بعض. وأيضًا جاءت بمعنى الجماع (يُقال وقع الرجل على المرأة) أي جامعها.

– كما جاءت أيضًا مشتقات هذا الفعل (وَقَعَ) وتصريفاته على أكثر من معنى لتعطي أكثر من دلالة. ومن أمثلة ذلك، الواقعة: القيامة والنازلة، الوقائع: الأحوال والأحداث، والوَقْعَةُ: المرة.

هذا، وتُطلَق **الواقعية** في اللغة أيضًا على ما وقع ووجد بالفعل، وهي بذلك مرادفة للحادث. والواقعي هو المنسوب إلى الواقع، ويُرادفه: الوجودي والحقيقي. ويقال رجل واقعي: أي يرى الأشياء كما هي عليه في الواقع، ويتخذ إزاءها ما يناسبها من التدابير دون التأثر بالأوهام أو الأحلام. ويقال أيضًا واقعية التفكير، أي مُطابقته للواقع.[(١)]

كما يعني هذا المصطلح في الفلسفة الماركسية: مجموع كل ما هو موجود في مقابل كل ما هو غير موجود. ويتم التمييز بين الواقع الموضوعي أو العالم المادي بكافة أشكاله ومظاهره وبين الواقع الذاتي الذي يمثل كل صور وحالات الوعي. وللواقع الموضوعي وجود مستقل عن وعى الإنسان. [(٢)]

هذه بعض ملامح الواقعية في اللغة، والتي يتضّح لنا أنّها جاءت على أكثر من وجه لتعطي أكثر من معنى على حسب طبيعة الكلمة ومشتقاتها.

---

(١) "المعجم الوسيط في اللغة العربية"، ط دار الدعوة، القاهرة. ص ١٠٥٠ وما بعدها بتصرف. كذلك راجع:

– "مختار الصحاح"، للشيخ محمد بن بكر الرازي، طبعة درا الحديث، مصر، بدون الطبعة والتاريخ. ص ٧٣٢.

– "المعجم الفلسفي"، جميل صليبة. جـ ٢، ط دار الكتاب اللُبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٢. ص ٥٥٢ وما بعدها.

– "المعجم الفلسفي"، د. مراد وهبة. ط الهيئة العامة للكتاب، مصر ٢٠١٦. ص ٧٧٥.

(٢) المعجم العلمي للمعتقدات الدينية – تعريب وتحرير: سعد الفيشاوي – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٧ – ص ٢١٩.

المطلب الثاني
التعريف بالواقعية في الاصطلاح

لقد جاء العديد من التعريفات حول الواقعية في الجانب الاصطلاحي مُؤكدةً على أصالة العالم الخارجي وواقعيته، وهي السمة التي تتميز بها الواقعية عن غيرها من الفلسفات الأخرى **كالمِثَالِيَّة**(١) التي تُنكر القول بحقائق الأشياء، وتزعم أنّ الأشياء إنّما هي صورة ذهنية لا أكثر ولا أقلّ.

وقد تعددت التعريفات المُتعلقة بالواقعية تبعًا للمسارات التي انطلقت من خلالها.

أهم المسارات المفهوم الاصطلاحي للواقعية:

أولاً: المَسار الفلسفي: استخدم مصطلح الواقعية في المسار الفلسفي "لتسمية نظرتين متناقضتين. فالواقعية كنقيض للمثالية هي الفلسفة التي تنسب إلى الفلاسفة الطبيعيين قبل (سقراط)(٢) أو إلى (أرسطو)(٣) ، والتي تؤمن بوجود العالم الواقعي المُكون

---

(١) المثالية هي الفلسفة التي تميل إلى قراءة الطبيعية من خلال الذات، وتربط وجود الأشياء بحالة الذات، بحيث تجعل الذات ليست مسئولة فقط عن معرفة الأشياء فحسب بل عن وجودها أيضًا. وإذا كنا نستطيع أن نُعرف المثالية على هذا النحو فإن الواقعية تميل – على العكس من ذلك – إلى الاعتراف بوجود مستقل للطبيعة والأشياء، وتقلل بقدر الإمكان من أثر الذات. فتذهب إلى أن الذات وإن كان لها أثر غير مُنكَر في معرفتنا للأشياء، فإنها لا تستطيع أن تَدَّعي أنها تخلق وجود الأشياء. ومن هنا فإن الواقعية تنُكر على الذات قدرتها على خلق الأشياء وإيجادها، الأمر الذي ادعته المثالية وبالغت فيه. – مُقدمة في الفلسفة، د. يحي هويدي، ط دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، التاسعة ١٩٧٩. ص ٢٤٠.

هذا، وتنقسم المثالية إلى مدرستين:

١– المثالية الذاتية: وهي التي تتخذ من إحساسات وتصورات ووعي الإنسان كذات – أصلًا لكل ما هو موجود.

٢– المثالية الموضوعية: وهي التي تعتبر الوعي بصورة عامة، الوعي الموضوعي أو الروح العالمي أصلًا للكون لا وعي إنسان بالذات كما تدعي المثالية الذاتية. – مذاهب ومفاهيم في الفلسفة الاجتماعية، د. عبد الرازق مُسلم الماجد، بدون الطبعة والتاريخ، ص٨٩ بتصرف.

حول هذا الموضوع راجع: "ما هي الفلسفة"، د. حسن علي. طبعة دار قباء القاهرة ٢٠٠٤ م. ص ١٣٨ وما بعدها. كذلك راجع "الفلسفات الكبرى"، بيير دوكا سييه، ترجمة: جورج يونس. طبعة منشورات عويدان، بيروت – لبنان، الثالثة ١٩٨٣م. ص ١٤٤ وما بعدها.

(٢) يُعد سقراط من أبرز فلاسفة اليونان، وقد وُلد في أثينا وعاش في الفترة ما بين ٤٦٩ – ٣٩٩ ق.م. ("تاريخ الفلسفة الحديثة، عرض ونقد"، د. أحمد السيد على رمضان. ط مكتبة الإيمان المنصورة الأولى ١٩٩٩م. ص١٢٩.)

(٣) أرسطو فيلسوف معروف، ولد في مدينة "أسطاغيرا" وهي مدينة يونانية سنة ٣٨٤ ق.م وتوفي سنة ٣٢٢ ق.م. – راجع "تاريخ الفكر الاجتماعي"، د. غريب سيد أحمد. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط ١٩٨٩م.، ص ٣٩. كذلك راجع "مدخل إلى الفلسفة"، جون لويس، ترجمة: أنور عبد الملك. طبعة دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. الثانية، ١٩٧٣. ص ٤٧ وما بعدها.

من أشياء مادية تشغل حيزًا في المكان، ووجودها موضوعي بصرف النظر عمّا إذا كان أيّ عقل يدرك وجودها أم لا. ولكنّ الواقعية كنقيض للاسمية(١) هي "الفلسفة التي تؤمن بوجود كيانات مجردة أو كليات وجودًا حقيقيًا وواقعيًا في عالمٍ خاصٍ بها لا يَحدُّه مكان ولا زمان سواءً كان لها حالات أو نماذج أم لا. وقد تُسمَّى النظرة الأولى "الواقعية المعرفية أو الإدراكية"، وتسمى الثانية أحيانا بـ "الواقعية الأفلاطونية أو المنطقية".(٢) وقيل: إنّ الواقعية التي تنسب إلى**(أفلاطون)**(٣) هي قوله بوجود المُثُل(٤) وجودًا واقعيًا حقيقيًا، وأنَّها أكثر إمعانًا في الوجود من الأشياء الظاهرة وسابقة عليها.

---

(١) المذهب الاسمي: هو رأي يرجع أصله إلى العصور الوسطى، وهو القائل بأنّ الأشياء الفردية وحدها هي التي لها حقيقة موضوعية وأنّ التصورات والكليات ليست إلا أسماء، وعلى ذلك فليس للتصورات وجود خارج الذهن، وهذا المذهب يقابل الواقعية الأفلاطونية أو واقعية العصور الوسطى التي تنظر إلى الكليات أو الألفاظ المعبرة عن فئات باعتبار أن لها وجودًا موضوعيًا. ("الفلسفة أنواعها ومشكلاتها"، هنتر ميد، ترجمة: د. فؤاد زكريا. طبعة نهضة مصر الثالثة ٢٠٠٦م، ص٤٢١ وما بعدها بتصرف.)

وقيل إن المذهب الاسمي هو المذهب الذي يرى أن العبارات العامة الدالة على الأنواع والأجناس كعبارة الوجود والإنسان والحيوان على سبيل المثال ليست إلا ألفاظًا فقط ولا تحمل طابع الواقعية على عكس العبارات الدالة على الأفراد وهي أعلام الأشخاص فإنها تدل على حقائق في الخارج وعلى صور واقعية يمكن الرجوع إليها بطريق الحواس ويشار إليها على أنها هنا أو هناك. ("الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار" د. محمد البهي. مكتبة وهبة، مصر. ص ٢٧١ بتصرف.)

(٢) "مصطلحات الفكر الحديث"، سامي خشبة، ط مكتبة الأسرة الهيئة العامة للكتاب، ص٣٧٤ وما بعدها.

(٣) وُلد أفلاطون في أثينا عام ٤٢٧ ق.م وتوفي سنة ٣٤٧ ق.م. وقد مات ميتة هادئة في نفس يوم ميلاده. – راجع "في تاريخ الفلسفة اليونانية"، د. عوض الله حجازي وآخرون. ط دار الطباعة المُحمدية بالأزهر الشريف، القاهرة. الثانية، بدون التاريخ. ص ١٠٩. وكذلك راجع "مدخل إلى الفلسفة"، جون لويس، ترجمة: أنور عبد الملك. ط دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. الثانية، ١٩٧٣. ص ٢٦ وما بعدها.

(٤) المثل تعنى الهيئة والشكل. والمثال عند أفلاطون هو المعنى الكلي المعقول المفارق لظلاله في عالم الأشياء الحسية. ("تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي"، د. مصطفى النشار. طبعة دار قباء، مصر، سنة ٢٠٠٠. ص ١٩٩ بتصرف.)

"هذا وللمُثُل عدة صفات من أهمها:

١– المثل ثابتة لا تتغير.

٢–المثل ذات طبيعة عقلية وإلهيه خالدة.

٣–المثل لها وجود في ذاتها. فهي معالم مجردة ومعقولة ومستقلة عن كل عقل كما أنها مفارقه للمحسوسات.

٤– المثل بسيطة غير مركبة ولا تقبل القسمة وغير متطورة كما أن كل الموجودات الحسية تحاكيها". "المعرفة والألوهية عند أفلاطون وأرسطو وأثرها على العلاف والفارابي"، دكتور شريف مصباح محمود. طبعة الهيئة العامة المصرية للكتاب، سنة ٢٠١٥، ص ١٠٢ وما بعدها بتصرف.

أما واقعية العصر الوسيط فقد انتشرت في الفلسفة المدرسية(١)، والتي يذهب أصحابها إلى أنّ المفاهيم الكلية "كإنسان على سبيل المثال" لها وجود واقعي، وتسبق وجود الأشياء المفردة. وقد واصلت هذه الواقعية خط **(أفلاطون)** في حل مشكلة العلاقة بين المفهوم والعالم الموضوعي أو بين الكلي والجزئي. فالواقعية أخيرًا هي الإحساس بالواقع والتقيد به.(٢)

ثانيًا: المَسار المِيتافزيقي:

وتُعرَّف الواقعية في هذا المسار بأنّها "الرأي الذي ينكر إمكان إرجاع الكون إلى الذهن أو الفكر، وهذا يعني أنّ للكون وجودًا مستقلًا أو واقعيًا لا يتوقف على الإدراك أو الوعي."(٣)

ثالثًا: المَسار الرِّيَاضي:

وفي هذا المسار "تُطلق الواقعية على النَّظرية القائلة بأنّ الحقائق الرياضية لا يخلقها العَالِم، وإنما يكتشفها. وأنها مُتحققة في العَالَم الخارجي على نحو تحقق الأشياء الحسية."(٤)

رابعًا: المَسار الفنِّي:

تُعرَف الواقعية في المجال الفني بأنّها "هي الوعي بالمشاركة في خلق وتجديد الإنسان لنفسه باستمرار، باعتبار أنّ هذا الوعي أرقى أشكال الحرية. ومعنى أن يكون الإنسان واقعيًا لا يعني على الإطلاق نقل صورة الواقع، بل محاكاة نشاطه. وهو ليس تقديم نسخة منقولة من خلال ورق شفاف أو طبع صورة منه، بل المشاركة في البناء

---

(١) أطلق عليها هذا الاسم في العصور الوسطى نظرًا لأنها كانت تهتم بالتعليم في المدارس. ومن أهم رموزها: (أوغسطين) و(توما الإكويني) وغيرهما من فلاسفة العصور الوسطي. (راجع: "تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط"، يوسف كرم، ط دار القلم، بيروت، لبنان،١٩٧٩. ص١ وما بعدها) . ومن هنا فإن لفظ (مدرسي) أطلق على كل من يُدرس في مدارس العصور الوسطى أو على كل من حصل على جميع المعارف التي كانت تُدرس في هذه المدارس. – راجع بالتفصيل كتاب " فلسفة العصور الوسطى"، د. عبد الرحمن بدوي. ط. دار القلم، بيروت، لبنان، الثالثة ١٩٧٩، ص٤٣ وما بعدها.

هذا ومن أهم مبادئ الفلسفة المدرسية؛ النظر إلى الإله على أنه مركز هذا الكون. حيث قالت هذه الفلسفة بالإله الخالق المُدبر لهذا الكون. – راجع "الفلسفة المعاصرة في أوروبا"، إ. م. بوشنسكي. ترجمة: عزت قرني. ط عالم المعرفة، العدد ١٥٦، سبتمبر، ١٩٩٢. ص٢٢.

(٢) "المُعجم الفلسفي"، جميل صليبة. جـ ٢، سابق. ص ٥٥٢ وما بعدها بتصرف.

(٣) "الفلسفة أنواعها ومشكلاتها"، هنتر ميد، سابق، ص٤٤٣.

(٤) "المُعجم الفلسفي"، د. مراد وهبة. سابق، ص ٧٧٥.

الخلّاق لعالَم لا يزال في طور التَّكوين مع اكتشافه إيقاعه الداخلي."[١]

خامسًا: الواقعية بشكلٍ عام:

إذا نظرنا إلى الواقعية بوجه عام فإنّه يمكن القول بأنّها "المذهب الذي يقول بوجود عَالَم خارجي مستقل عن أي عقل يُدركه"[٢] ، وقيل: الفلسفة الواقعية "هي عبارة عن جملة القوانين المُكتسبة بالتجربة لا جملة قوانين الوجود."[٣]

هذا ما يتعلق بالواقعية، أمّا "الواقعيون فهم الذين يعترفون بوجود عالَم مستقلٍ عن أي عقل يدركه، وعن جميع أفكار وأحوال ذلك العقل، ويرى هؤلاء الواقعيون أنّ الأمور المُدركة بالتجربة ليست سوى رموز في العقل، ولكنها رموز تدل على حقائق خارجية واقعية."[٤] كما يعتقد الواقعيون "أنّ المعرفة صورة مُطابقة لحقائق الأشياء في العالم الخارجي، فالعالم الخارجي كما هو مُدركٌ في عقولنا، ليس إلا صورة للعالم الموجود في الواقع."[٥]

وبهذا يتبين لنا أنّ الواقعية قد تعددت مفاهيمها تبعًا لتعدد مساراتها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى؛ فإنّ مصطلح "الواقعية" قد يرمز ويشير إلى الواقعية المقابلة للاسمية، وقد يشير إلى الواقعية المقابلة للمثالية، أو الفنية، وهنا يختلف معناها من حالة إلى أخرى، ومن مسار إلى مسار. كما يتضح لنا أيضًا، أن القول بحقائق الأشياء يُعد من ألزم صفات الواقعية، وهذا ما يحمد لها إن كان لها من شيء تُحمد عليه.

❋ ❋ ❋

---

(١) "واقعية بلا ضفاف"، روجيه جارودي، ترجمة: حلمي طوسون. ط دار الكاتب العربي بدون الطبعة والتاريخ. ص ٢٢٦ وما بعدها. كذلك راجع "موسوعة الفلسفة والفلاسفة"، د. عبد المنعم الحفني. ط. مكتبة مدبولي ١٩٩٩. ص ١٥٢٣ وما بعدها بتصرف.

(٢) "المذهب الواقعي وأثره في الدين والأخلاق"، د. البهنسي رزق البهنسي، ط الدار الإسلامية المنصورة مصر بدون الطبعة والتاريخ، ص ٨ وما بعدها بتصرف.

(٣) "تاريخ الفلسفة الحديثة"، يوسف كرم، دار المعارف، القاهرة، ط٥ ، ص ٣٢٠

(٤) "المدخل إلى الفلسفة"، أرفيلد كولبه. ترجمة: أبو العلا عفيفي. ط لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٢. ص٢٩١.

(٥) "الفلسفة ومباحثها"، د. محمد علي أبو ريان. ط دار الوفاء للطباعة، مصر، ٢٠١٥. ص ٢٩٦ بتصرف.

المبحث الثاني
أهم المراحل التي مرت بها الواقعية عبر التاريخ

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول
الواقعية في العهد اليوناني القديم
المطلب الثاني
الواقعية في العصور الوسطى
المطلب الثالث
الواقعية في العصر الحديث وأبرز صورها

المطلب الأول
الواقعية في العهد اليوناني القديم

إذا نظرنا إلى الواقعية كمذهب فكري مادي؛ فإننا نجد أنّه يرجع في جذوره التاريخية إلى المجتمع اليوناني القديم، "حيث شَكَّل موضوع المادة . وهل هي أصل الكون أم لا . محورَ تفكير الفلسفة اليونانية القديمة قبل **(سقراط)**"[١].

وكان من أوائل الذين تحدثوا في هذا المجال: الفيلسوف اليوناني **(طاليس)**[٢] ، ومع مجيء **(الفيثاغوريين)**[٣] بدأ الحديث عن أنّ شيئًا آخر غير المادة يَكمُن وراء الأشياء، وهو الروح. أمّا **(السفسطائيون)**[٤] فقد صرَّحوا بأنّ الإنسان عاجز عن إدراك الواقع كما هو في ذاته، وأنّ جميع المفاهيم الذهنية التي تكتظ بها رؤوسُنَا وليدةُ الألفاظ التي تنطق حولنا. ومع مجيء (سقراط) انتقل البحث من الطبيعة إلى الإنسان، ومِن ثَمّ قيل عنه: إنّه أول من أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض. وقد رأى (سقراط) أنّ العِلم بالمحسوس لا يكفي؛ بل لابد من الانتقال إلى المعقول، ومن صغار الأشياء إلى كبارها للوصول إلى المعنى الكلي، أو الحقيقة "الماهية".

وبهذا يكون (سقراط) قد مهّد الطريق أمام (أفلاطون) للقول بواقعية الكليات من خلال نظرية "المُثُل" الشهيرة، والقول بوجود حقائق ثابتة، وبالتالي وجود مبادئ مستقلة عن الأشياء المحسوسة، وأنّ المعرفة الحقيقية قائمةٌ على معرفة الماهيات والكليات. [٥]

---

(١) حول فلسفة ما قبل سقراط: راجع "الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها"، د. أميرة حلمي مطر. ط دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٨. ص ٣٣ وما بعدها.

(٢) فيلسوف يوناني عاش في الفترة ما بين القرن السابع والسادس ق.م، في السنوات (٦٣٤ . ٥٤٧ ق.م). "تاريخ الفلسفة" – الكتاب الأول، فواد سواف تاتار كيفتش، ترجمة: محمد عثمان مكي العجيلي. ط دار عزة للنشر والتوزيع، السودان، ٢٠٠٥. ص ٤١.

(٣) الفيثاغوريون نسبة إلى (فيثاغورس)، المولود سنة ٥٧٠ ق.م. والمتوفى سنة ٤٩٧ ق.م. راجع "تاريخ الفلسفة" – الكتاب الأول، فواد سواف. سابق، ص٩٧ وما بعدها. وكذلك راجع "الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها"، د. أميرة حلمي مطر. طبعة دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٨. ص ٣٣ وما بعدها.

(٤) تعني كلمة سفسطائي الحكمة أو المَهارة. وهذا يعني أنّ هذه الكلمة لا تحمل معنى بغيضًا، فلقد تمتع السفسطائيون بالبلاغة والقدرة على البيان. غير أنّ هذا المعنى للفظ تغيير إلى الأسوأ فيما بعد. – راجع "تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي"، د. مصطفى النشار. سابق. ص ٢٣ وما بعدها. كذلك راجع "الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها"، د. أميرة حلمي مطر. سابق. ص ٣٣ وما بعدها.

(٥) "المذهب الواقعي وأثره على الدين والأخلاق"، د. البهنسي رزق البهنسي. سابق، ص١٥ وما بعدها بتصرف.

ولكنّ السؤال الذي يطرح نفسه، هو كيف مهد سقراط للواقعية الأفلاطونية؟

والإجابة على هذا السؤال تَكمُن في نظرية المعرفة لـ (سقراط)، والتي مهّدت الطريق للواقعية الأفلاطونية، حيث تقوم على أساس الإدراك العقلي لا على الحس. كما يقول (السفسطائيون) الذين يعتمدون على الحس في معارفهم، ويقولون: إنّ الإحساس هو المصدر الوحيد للمعرفة.

لذلك نهض (سقراط) من عقاله، وأخذ على عاتقه أن يردّ الناس إلى الحق والفضيلة، وصوّب سهام نقده إلى ما ذهب إليه (السفسطائيون) من أنّ المعرفة قائمة على الإحساس، وقرّر . في صراحة ووضوح . أنّ المعرفة قائمة على العقل لا على الحس، وأنّ لكلّ شيء ماهيةً هي حقيقته، يكشفها العقل وراء هذه المحسوسات، ويعبر عنها بـ "الحد"، وأنّ العلم الصحيح هو ذلك الإدراك العقلي لحقيقة الشيء. ولما جاء (أفلاطون) وافق أستاذه (سقراط) فيما ذهب إليه، وبينما وقف(سقراط) عند هذا الحد؛ تابع (أفلاطون) المسير إلى الأمام حتى انتهى به السير إلى القول بنظرية **"المُثُل"**.[١]

وهكذا أصبحت "نظرية المُثُل" الأفلاطونية هي المَعْبَر الذي عبرت من خلاله الواقعية في هذه المرحلة من تاريخ الفلسفة الواقعية.

هذا، وبعد الإشارة عن الواقعية وجذورها التاريخية في هذه المرحلة؛ يأتي الحديث عن الواقعية في العصور الوسطى، وهذا ما نُشير إليه في المطلب التالي:

المطلب الثاني

الواقعية في العصور الوسطى

تُعد مرحلة العصور الوسطى[٢] من أهم المراحل التي مرت بها الواقعية في

---

(١) "في تاريخ الفلسفة اليونانية"، د. عوض الله حجازي وآخرون. سابق، ص ١١٨ وما بعدها. كذلك راجع "تمهيد للفلسفة"، د. محمود حمدي زقزوق. ط مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩. ص ١٥٦ وما بعدها.

(٢) اختلف المؤرخون بشأن التحديد الزمني للعصور الوسطى، فذهب عدد من المؤرخين إلى أنّ "العصور الوسطى" تطلق على فترة من الزمن تبلغ نحو ألف سنة، تبتدئ من سقوط الدولة الرومانية الغربية سنة ٤٧٦م على يد الجرمان، وتنتهي بسقوط الدولة الرومانية الشرقية سنة ١٤٥٣م على يد الأتراك. كتاب "تاريخ الفلسفة الحديثة، عرض ونقد"، د. أحمد السيد على رمضان. ط مكتبة الإيمان المنصورة الأولى ١٩٩٩م. ص٢١ وما بعدها بتصرف.

وإذا كانت كلمة (العصور الوسطي) تحمل دلالة سيئة في الغرب، فإنها كانت في الشرق تحمل دلالة مُضيئة لأنّ هذه الفترة من الزمن كانت أزهي عصور الفلسفة الإسلامية، بينما كان العقل الغربي محاطا بسياج من حديد على يد رجال الدين. – راجع "فلسفة العصور الوسطى الأوروبية بين المادية والواقعية"، د. محمد السيد أحمد شحاتة. بدون ذكر المطبعة، ط. الأولى. سنة ٢٠٠٢. ص٩٠ وما بعدها. كذلك راجـع === === "أفكار

مسيرتها التاريخية. وقبل الحديث عن الواقعية في هذه المرحلة، أودّ الإشارة إلى أن هذه المرحلة شهدت صراعًا مريرًا بين الكنيسة وبين الكثير من الفلسفات القائمة آنذاك، وذلك لاختلاف توجهات الكنسية وسَاستها عن توجهات تلك الفلسفات. ومن هُنا فقد وقفت هذه الفلسفات بقوة في وجه الكنيسة وجبروتها في هذه المرحلة.

ومن أهم هذه الفلسفات ما يلي:

أ) الفلسفة التجريبية:

والتي "اتخذت من التجربة مقياسًا للحقائق والحكم على الأشياء، وقد سعى هذا التيار بقوة إلى التخلص من سطوة الكنيسة التي وقفت عائقًا أمام تقدم العِلم والمعرفة باسم الدين. وظلت هذه الفلسفة سارية حتى العصر الحديث.[١]

ب) الفلسفة الأرسطية:

كذلك من الفلسفات التي وُجدت في هذه المرحلة: "الفلسفة الأرسطية، نسبة إلى الفيلسوف اليوناني **(أرسطو طاليس)**. وقد تَزعَّم التيار الأرسطي في هذه المرحلة القديس **(توما الإكويني)**[٢] الذي استطاع أن يخضع الكنيسة للمذهب الأرسطي في هذه المرحلة التاريخية، حيث أقرّت الكنيسة ذلك المذهب في تفسير الدين وفق فلسفته بما فيها من الميتافيزيقا والطبيعة، بل اعتمدت الكنيسة أيضًا على بعض آراء (أرسطو) وجعلتها هي

ورجال: قصة الفكر الغربي"، كرين برنت، ترجمة: محمود محمود. طبعة مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥. ص ٢٢٣ وما بعدها.

(١) "الفلسفة الحديثة، عرض ونقد"، د. أحمد السيد رمضان. سابق، ص٣٥ بتصرف.كذلك راجع "تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط"، يوسف كرم، سابق. ص٢٣٧ وما بعدها. وكذلك "فلسفة العصور الوسطى"، د. عبد الرحمن بدوي. سابق. ص١١٩ وما بعدها.

(٢) يعُدَّ "توما الإكويني" من أعظم فلاسفة العصور الوسطى، ويعد كتابه "الحجة على الكافرين" من أعظم ما كُتب في تاريخ الفلسفة الغربية. فهو أحد الأعمدة الثلاثة في الفكر الأوروبي. فأرسطو في العصور القديمة وتوما الإكويني في العصور الوسطى، وهيجل في العصر الحديث. ولد سنة ١٢٢٥م بالقرب من نابولي الفرنسية، وتتلمذ على يد الفليسوف ألبير الكبير، وله إنتاج كبير من الدراسات العلمية. (راجع بالتفصيل "برتراند رسل"، ترجمة: د. زكي نجيب محمود، ط لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٨. ص٢٣٤ وما بعدها. كذلك راجع "الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط"، يوسف كرم. سابق ص ١٦٩ وما بعدها. كذلك راجع دراسة بعنوان "المجموعة اللاهوتية – القديس توما الإكويني"، د. زكريا إبراهيم. مجلة تراث الإنسانية، المجلد الثالث ص ٧٨٤ وما بعدها. وراجع أيضًا "الفلسفة المعتدلة عند يوسف كرم"، د. سامي السهم. طبعة الهيئة العامة للكتاب، مصر، ٢٠١٥م. ص ٣٩٧ وما بعدها.)

النصوص المُوافقة لنصوص الكتاب المُقدس."[1]

وبهذا يُمكن القول: إنّ التيار الأرسطي قد استطاع ترويض الكنيسة وإخضاعها تحت سُلطانه وليس العكس.

جـ) الفلسفة المدرسية:

كذلك من الفلسفات التي شهدتها العصورُ الوسطى، وكان لها أثر عظيم على الحياة الفكرية في هذه المرحلة: **الفلسفة المدرسية.** والتي كان الطابع العام لها طابعًا دينيًا مسيحيًا يُركّز على الاعتقاد بأنّه ليس للعالم أيّ أهمية خاصة تجاه الله، كما أنّ حياتنا الراهنة لا تعني أيّ شيء أمام الحياة الخالدة.

هذا ولم تكن الفلسفة الدينية في تلك المرحلة لاهوتًا فقط؛ فقد كانت المشاعر الدينية متطورة تمامًا لدرجة أنّها لم تقف عند حدود البحث عن الله، وإنّما امتدت للبحث عن مخلوقاته في العالم الطبيعي. ولم تكتفِ الفلسفة بدور "خادم اللاهوت" ولكن كانت تتناسب مع البرنامج البابوي."[2]

هذه بعض الفلسفات التي أثْرَت الحياة الفكرية في العصور الوسطى وهي فلسفات إما خاضعة لسلطان الكنيسة أو متمردة عليها.

د) الفلسفة الواقعية وأهم دوافع اختيارها:

أما إذا نظرنا إلى الفلسفة الواقعية فإننا نجد "أنّها كانت محل تقدير واحترام من الكنيسة ورجالها، حيث تبنتها الكنيسة وجعلتها واجهة الدفاع عن العقائد المسيحية في هذه المرحلة التاريخية.[3]

ويُمكن رصد أهم الدوافع التي جعلت الواقعية في هذه المكانة السامية في نظر الكنيسة فيما يلي:

١- الدوافع الشخصية الفلسفية: وتتمثل في إعجاب نفر من الفلاسفة بـ(أفلاطون)،

---

(١) "تاريخ الفلسفة السياسية" د. علاء حمروش. ط دار التعاون، سنة ١٩٨٦. ص٧٦ بتصرف.

(٢) "تاريخ الفلسفة" – الكتاب الأول، فواد سواف سابق. ص ٤٠٩.

(٣) حول الواقعية في العصور الوسطى راجع ما يلي:

- "روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط"، أيتين جلسون، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر – الأولى ٢٠١١ م. ص ٢٨١ وما بعدها.
- "أفكار ورجال – قصة الفكر الغربي " كرين برنت، سابق – ص ٢٢٣ وما بعدها.
- "مدخل إلى الفلسفة"، جون لويس، ترجمة: أنور عبد الملك – طبعة دار الحقيقة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – الثانية ١٩٧٣ م. ص ٨٠ وما بعدها.

وتفضيلهم لفلسفته على فلسفة من سواه، ونادى هؤلاء بالواقعية الأفلاطونية.

٢- **الدوافع الاجتماعية:** وهي التي جعلت (أفلاطون) يقول بتلك الواقعية عندما أراد أن يقيم فلسفة تقف في وجه التغيير الاجتماعي، وخاصة مبدأ العدالة، والذي أفاض فيه من خلال كتاب الجمهورية.

٣- **الدوافع العقائدية:** وقد كانت الواقعية هي المذهب الفلسفي الذي يتناسب مع الكنيسة الكاثوليكية منظورًا إليها لا كظاهرة روحانية، ولكن كقوة منظمة وموجهة للنظام الاجتماعي، والسياسي في العصور الوسطى. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد رأى هؤلاء أنّ ثمة مخالفات عقائدية قد تنجم عن القول بالمذهب الاسمي؛ جعلت الكنيسة تناصر الواقعية، وتحارب الاسمية، مما كان له أكبر الأثر في انتصار الواقعية آنذاك."[١]

ويُعد القديس **(أنسلم)**[٢] من أشهر دعاة هذه الفلسفة في تلك المرحلة."[٣]

وبهذا يتضح لنا أن الفلسفة الواقعية قد توافقت مع التَّوجهات الكَنَسِيَّة لكونها تؤكد القول بحقائق الأشياء، وأنّ لها وجودًا خارجيًا، وهذا ما يتوافق مع تعاليم الكنيسة[٤]، لأنّ عدم القول بحقائق الأشياء يعني أنّ الكنيسة وهمٌ لا حقيقة لها، وأنّ رجال الدين وهمٌ لا حقيقة واقعية لهم، كما أنّ الكتاب المُقدس وهْمٌ، والحياة بما فيها من بشر وحجر وشجر وهْمٌ كذلك. وهذا يتعارض مع الدين والعقل والواقع المُشاهد. لذا نالت الواقعية من الرضى والقبول من رجال الدين ما نالت، بجانب شرف الدفاع عن تعاليم الكنيسة.

ومن هنا القول بأنّ الفلسفة الواقعية في هذه المرحلة كانت عونًا للدين ولم تكن عونًا عليه. هذا، وبعد الإشارة إلى الواقعية في العصور الوسطى، يأتي الحديث عن الواقعية في العصر الحديث وهذا ما نُشير إليه في المطلب التالي:

---

(١) "المذهب الواقعي وأثره على الدين والأخلاق"، د. البهنسي رزق البهنسي، سابق ص ٣٧. كذلك راجع: "تاريخ الفلسفة الحديثة" "، أ. و. بن. ط مكتبة الأنجلو المصرية، ط الأولى ١٩٥٨، ص٢١.

(٢) يُعد القديس أُنسلم من أبرز فلاسفة العصور الوسطى، وُلد في سنة ١٠٣٣م وتُوفي سنة ١١٠٩م. . راجع "الفلسفة الوسطية"، د. علي زيعور. ط دار الأندلس، ط الثانية، ١٩٧٩. ص٧١ وما بعدها.

(٣) "مذاهب ومفاهيم في الفلسفة والاجتماع"، د. عبد الرازق مُسلم الماجد، ص١٢٢.

(٤) حول تعصب الكنيسة للفلسفة الأفلاطونية في العصور الوسطى ووقفها بجانب المذهب الواقعي، راجع: "تاريخ الفلسفة الحديثة"، أ. و. بن، ترجمة: عبد المجيد عبد الرحيم. طبعة مكتبة الأنجلو المصرية، الأولى ١٩٥٨. ص٢١.

المطلب الثالث
الواقعية في العصر الحديث وأبرز صورها

إذا كانت الواقعية في المرحلتين السابقتين تُمثل فكرة، فإنّ هذه الفكرة قد تبلورت في صورة واضحة المعالم من خلال فلسفة وضعية واقعية على يد الفيلسوف الفرنسي **(أوجست كونت)**[1]، الذي هاله ما حدث للمجتمع الفرنسي بعد الثورة التي قام بها عام ١٧٨٩م. حيث أخذ على عاتقه، مع آخرين من مُثقفي فرنسا، العمل على إعادة وتنظيم المُجتمع من جديد، بعيدًا عن الدين ورجال الكنيسة الذين أضروا بالدين وبالدنيا على السواء.

ومن هنا فلابد من بديل بشري يحل محل هذا الدين. وقد عُرف هذا البديل لـ(أوجست كونت) باسم الفلسفة الوضعية[2] باعتبار أنّها وضع بشري من وضع هذا الرجل.

كما أخذت هذه الفلسفة اسم **الواقعية** أيضًا لارتباطه بالواقع وتفاعله مع قضاياه المُختلفة. وقد قامت الوضعية الواقعية على عدة أسس، من أهمها ما يلي:

أهم الأسس التي اعتمدت عليها الواقعية:

أ – اعتبار الإحساس وحده مصدرًا للمعرفة الاجتماعية.

ب – إخضاع جميع الظواهر الاجتماعية للتجريب.

جـ – استبعاد جميع العناصر الغيبية، وجعلها في دائرة الإنكار.

---

(١) ينعقد اجتماع مؤرخي الفلسفة على أن (أوجست كونت) من كبار رجال الفلسفة الغربية باعتبار أنه أرسى فلسفةً شقت طريقها في المجتمع الغربي وسَرَت في جنباته بكل قوة واقتدار، وهي الفلسفة الواقعية الوضعية. وقد وُلد (أوجست كونت) في مدينة (مونيليه) الفرنسية عام ١٧٩٨م من أبوين كاثوليكيين. وعلى الرغم من نشأته في أسرة شديدة التدين، إلا إنّه كان مُتحررًا من الدين حتى أنه فقد إيمانه وهو في الرابعة عشر من عمره. وعلى الرغم من أنّه درس الهندسة، إلا أنه مال إلى الأدب والفلسفة. وقد مَرِض في آخر حياته إثر إصابته بالسرطان ومات في "باريس" سنة ١٨٥٧م. ودُفن في مدافن الشرق، وأقيم له نصب تذكاري في مدخل جامعة "السربون" عام ١٩٩٨م.

حول (أوجست كونت) وتاريخ حياته، راجع ما يلي:

– كتاب" المعرفة"، د. محمد فتحي الشنيطي. ط مكتبة القاهرة الحديثة، مصر، الثالثة ١٩٦٢. ص ١٦٥ وما بعدها.

– "تاريخ علم الاجتماع"، د. محمد علي محمد. ط دار المعرفة الجامعية، مصر، ص ٨١ ما بعدها.

(٢) الوضعية في نظر مؤسسها (أوجست كونت) تعني دراسة التصورات أو الظواهر الإنسانية دراسة علمية واقعية وليست دراسة خيالية وهمية وبذلك تكون كلمة "وضعي" مرادفة لكلمة (علمي أو حقيقي أو تجريبي). (كتاب الفلسفة الحديثة – عرض ونقد، سابق، ص٢٧٩ وما بعدها بتصرف.)

كما تعني كلمة وضعي (واقعي)، فكل ما هو وضعي هو واقعي. – كتاب أصول علم الاجتماع، د. قباري محمد إسماعيل، ص ١٥٤. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م..

د – إحلال النسبية محل المطلق في دراسة الظواهر الأخلاقية، وعلى هذا فالواقعية هي السمة التي تميزت بها الوضعية واستعملتها كسلاح أيديولوجي ضد الفكر غير الواقعي أو الميتافيزيقي."[١]

وهكذا يُمكن القول: إنّ ما أنتجته قريحة (أوجست كونت) يُوصف بالوضعية تارة، وبالواقعية تارة أخرى. وهذا ما نراه واضحًا لدى مَن كتب عن هذه الفلسفة، حيث أطلق عليها اللفظين معًا.

وفي الإشارة إلى ذلك يقول الدكتور/ محمد البهي . رحمه الله تعالى .:

"كلمة (الواقع) اصطلاح فني فلسفي؛ عُرف في فلسفة الإغريق باسم (المادة) ، ونسب المذهب القائم على اعتبار المادة أساساً للوجود كله . وهو المذهب المادي . إلى الفيلسوف اليوناني بروتاجوراس[٢] من متقدمي الفلاسفة الطبيعيين الإغريق. ولكن هذا المصطلح (الواقع) لم يحدد تحديداً بقي ملازماً له للآن؛ إلا منذ عصر النهضة الأوروبية؛ يوم ساد البحث الطبيعي، واتسع نطاقه، وظهرت نتائجه العلمية الإيجابية في الحياة الإنسانية العملية. منذ ذلك الحين عرف (الواقع) بأنه الموجود الذي يخضع للملاحظة والتجربة؛ فما وراء الوجود المشاهد؛ وهو وجود ما بعد الطبيعة لأنه لا يخضع للملاحظة والتجربة ليس واقعاً. والمذهب (الواقعي): هو المذهب الذي يُقوِّم الوجود على أساس الواقع المفهوم فنياً بالمعني السابق؛ ومنطقه يسمى بالمنطق الواقعي وقد يطلق عليه المنطق الوضعي".[٣]

وفي التأكيد على هذا المعني . أيضًا . يقول د/ محمد عبد الله دراز، تحت عنوان: (أوجست كونت والأدوار الثلاثة)، حيث كتب . رحمه الله تعالى . قائلاً: "هذه هي نظرية

---

(١) "منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية"، د. محمد محمد أمزيان. ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي أمريكا، ١٩٨١م. ص ٣٩ وما بعدها بتصرف.

=هذا والوضعية مذهب ملحد؛ يركز المعرفة اليقينية في الظواهر التجريبية؛ وينكر وجود معرفة مطلقة تتعلق بما وراء الطبيعة؛ ويقول إن التقدم بدأ في العلوم الدينية إلى المرحلة الميتافيزيقية لكي يصل في النهاية إلى المرحلة الوضعية التي هي قمة التخلي عن كل العقائد الدينية. المعجم الفلسفي – د /مصطفي حسيبة – دار أسامة للنشر والتوزيع – الأردن – عمان – ط الأولى ٢٠٠٩– ص٦٩٣.

(٢) بروتاجوراس: من أبرز الفلاسفة السوفسطائيين، عاش في الفترة من ٤٨١ . ٤١١ ق.م . "تاريخ الفلسفة" – الكتاب الأول، فواد سواف، سابق، ص ١٢١

(٣) الإسلام دين الإنسانية، د/ محمد البهي، ط. هدية مجلة الأزهر الشريف، شوال، ١٤٣٨هـ، ص ٧١ وما بعدها، بتصرف.

(أوجست كونت). فقد ذهب هذا الفيلسوف إلى أن العقلية الإنسانية قد مرت بأدوار ثلاثة: دور الفلسفة الدينية؛ ثم دور الفلسفة التجريدية؛ ثم دور الفلسفة الواقعية؛ وهذا الدور الثالث في نظره هو آخر الأطوار وأسماها".[١]

وفي توضيح هذا المعنى يقول (إيميل بترو)[٢]: "يقوم مذهب (أوجست كونت) على سلوك منهجي يسير من العلم إلى الدين مارًا بالفلسفة، ويُسمي هذا المذهب بالوضعي، ثم يضيف (بترو) قائلًا: إنّ (كونت) يريد من خلال هذا المذهب إشباع الحاجات الواقعية للعقل البشري من خلال المعارف الواقعية، أي المُتصلة بالوقائع الحقيقة، ويجب أن تتلازم هذه المعارف مع حاجتنا الواقعية؛ فالمنفعة والواقع اصطلاحان يستغرقان مضمون الوضعي."[٣]

ويقول صاحب كتاب "الفكر المادي الحديث" عند حديثه عن نشأه الواقعية والظروف المحيطة بها: "لقد ظهرت الواقعية أو الوضعية في النصف الأول من القرن التاسع عشر في فرنسا في ظروف خاصة، تتمثل هذه الظروف في أنّ الفرنسيين أفاقوا بعد أن رأوا ما أحدثته الثورة من خراب مادي واضطراب معنوي وقلق اجتماعي، وأيقنوا أنّ أهم أسباب ما هم فيه إنّما يرجع إلى الاضطراب المعنوي، أو فساد العقيدة في القيم العليا. فعمل كل منهم بطريقته الخاصة على إعادة الإيمان بهذه القيم."[٤]

وعلى هذا يُمكن القول بأنّ من ذهب إلى تسمية هذه الفلسفة بـ "الوضعية" له ما يؤيده لأنها من وضع (أوجست كونت)، ومن أطلق عليها لفظ "الواقعية" له سند يؤيده لارتباط هذه الفلسفة بالواقع وتفاعلها معه. ومن هنا فالفلسفة الوضعية هي أشبه بعملة لها وجهان؛ وجه وضعي، ووجه واقعي.

وقد اخترت اسم الواقعية لهذه الفلسفة تماهيًا مع السياق التاريخي لهذا المُصطلح الذي عُرفت جذوره التاريخية منذ أمد بعيد، قبل أن يُحوله (أوجست كونت) من فكرة إلى

---

(١) الدين – د /محمد عبد الله دراز – ط دار القلم للنشر والتوزيع القاهرة – الخامسة ٢٠٠٦ – ص ١٣١، وما بعدها.

(٣) عالم ومُفكر وفيلسوف فرنسي، وُلد ١٨٤٥م، وتُوفي ١٩٢١م. راجع "تاريخ الفلسفة الحديثة"، يوسف كرم. ص٣٨٦. سابق.

(٣) العلم والدين في الفلسفة المعاصرة: إيميل بترو، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ٢٠١٣م. ص٤١، بتصرف.

(٤) الفكر المادي الحديث: د. محمود عبد الحكيم عثمان، ص ٨٥، بدون ذكر المطبعة، ط ٥، ٢٠٠٤م.

فلسفة، لها أصولها وقواعدها التي تُميزها عن غيرها من الفلسفات الأخرى.

في الوقت نفسه، إذا نظرنا إلى الواقعية في العصر الحديث، فإننا نجد أنّها قد ظهرت في أكثر من ثوب، وبرزت في صور مُتعددة، وإن اختلفت أهدافها ومقاصدها. ومن أهم هذه الصور ما يلي:

أهم الصور التي برزت الواقعية من خلالها في العصر الحديث:

أولاً: الواقعية المباشرة: وتنقسم إلى:

أ) الواقعية الساذجة:

وهي أبسط أشكال الواقعية، ويُفسر بها بعض الفلاسفة وجهة نظر الإنسان البسيط الذي يعتقد أنّ ما يحسه من خصائص الأشياء هو حقيقتها، ولكن يدحض هذا الرأي أنّ النَّاظر إلى الطاولة مثلاً من أعلى سيتوهَّمُهَا مسطحة مستديرة، بينما الناظر إليها عن بعد سيتوهَّمُهَا بيضاوية. وكذلك فإنّ المُصاب بعمى الألوان سيحسب اللون الأحمر لونًا أسود.(١)

وهذه الواقعية الساذجة، أقرب إلى المثالية منها إلى الواقعية؛ لأنّ الإنسان في أول عهده بالأشياء لا يستطيع أن يفصل بين وجوده ووجودها، ويتصور أنه مركز العالم، ومركز وجود الأشياء الخارجية، لا باعتبار أنّه يخلع عليها الوجود بل لأنه قائم فيها ومختلط بها.(٢)

وبهذا تتضح لنا معالم الواقعية الساذجة كصورة من صور الواقعية التي تعتمد على الحقائق المحسوسة، ولا ترضى بديلًا عنها.

ب) الواقعية الجديدة:

"ظهرت الواقعية الجديدة لرأب الصدع وتدارك الخلل في الواقعية الساذجة. حيث اتجهت الواقعية الجديدة إلى أنّ الشيء في حقيقته هو جماع ما يبدو به للناس، ومن ثم فإنّ الطاولة تكون مستديرة وبيضاوية معًا، ولكن العقل في عملية الإدراك ينتقي من الخصائص الكثيرة التي للشيء الواحد خاصية واحدة. وبذلك يعرف الشخص الطاولة بأنها مستديرة أو بيضاوية، ومن ثَم سميت هذه النظرية بالنظرية الانتقائية."(٣)

---

(١) "موسوعة الفلسفة والفلاسفة"، د. عبد المنعم الحفني. ص١٥٢٣. كذلك راجع "تمهيد للفلسفة"، د. محمد حمدي زقزوق. ط مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٩. ص١٤٠ وما بعدها.

(٢) "مقدمة في الفلسفة العامة"، د. يحيى هويدي. ط دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة، التاسعة ١٩٧٩. ص٢٥٠ وما بعدها.

(٣) "مقدمة في الفلسفة العامة"، د. يحيى هويدي. سابق، ص٢٥٠ وما بعدها. سابق.

هذه هي الواقعية الجديدة، وهي لا تختلف عن الواقعية الساذجة من حيث ماديتها كما أنّها هي الأخرى لم تهتد إلى موقف سديد فيما ذهبت إليه.

ثانيًا: **الواقعية غير المباشرة**، وتنقسم إلى:

أ) الواقعية التمثيلية:

تعد الواقعية التمثيلية إحدى صور الواقعية غير المباشرة وتقوم الواقعية التمثيلية على تصور أنّ الطاولة تصدر عنها إشعاعات تصافح العين وتحدث بالشبكية تغييرات كيميائية، وترسل نبضات إلى العصب البصري فيستقبلها المخ، وبذلك يدرك العقل الأفكار الحسية.

ب) الواقعية النَّقدية:

وهذه الفلسفة تقوم فيها المعرفة على ثلاثة عناصر، هي: الذات، والموضوع، والمعطي. والمعطي هو الشيء الجديد في نظريتهم، وهو مضمون الوعي، ولكنه ليس صورة أو نسخة من الواقع الفيزيائي."[١]

ثالثًا: الواقعية الفنِّية:

قبل الحديث عن الواقعية الفنية أودّ الإشارة إلى أنَّ "الحياة الفنية والأدبية لدى المجتمع الأوروبي لم تكن بمعزل عن الحياة الفلسفية فقد شكلت معها وحدة متكاملة، وكان القاسم المشترك هو المادية الإلحادية التي غَطَّت سماء المجتمع الأوروبي بكل جوانبه وأطيافه المختلفة، وقد جاء الأدب ليُلَبِّي رغبات هذا المجتمع المُتعطِّش للواقع المادي بعد أن تحلَّل من الدين والأخلاق.

وتُعد الواقعية الفنية من أهم الصور التي برزت من خلالها الواقعية في العصر الحديث في المجال الأدبي والفني. حيث استخدمت لتصوير الواقع وتجسيده في صورةٍ واقعيةٍ تُعبر عن طُموح المُجتمع وآماله، فضلاً عن تصوير المُعاناة الاجتماعية التي يُقاسي منها."[٢]

وقد دعت الواقعية إلى توظيف الجانب الفني لخدمة أهدافها، وهذا ما عبر عنه بوضوح أحد رموز الواقعية الجديدة في فرنسا **(جون كاستناري)**، حيث يقول: "بينما مَجَّد

---

(١) "موسوعة الفلسفة والفلاسفة"، د. عبد المنعم الحفني – ص ١٥٢٣ وما بعدها بتصرف.

(٢) حول هذا الموضوع راجع بالتفصيل ما يلي:

- "الواقعية في الفن"، مجاهد عبد المنعم دار الثقافة مصر بدون الطبعة والتاريخ ص ١١ وما بعدها.
- "مصطلحات الفكر الحديث"، سامي خشبة. ط مكتبة الأسرة الهيئة العامة للكتاب. ج ٢، ص٣٧٥ وما بعدها.
- "دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي"، د. حسين مروة. ط مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٨.

الفن يومًا الآلهة والأبطال، فإنّ عليه أن يُكرس نفسه لتأليه الإنسان وتصوير الإنسان على أنّه أصبح الآن كامل الوعي."

ثم يضيف قائلاً: "إلى جانب الروضة المُقدسة التي أُقصيت منها، فإنني سأشيّد جنة جديدة. في مَدخلها سأضع "التَّقدم" وسأجعله يُمسك في يده بسيفٍ مُشتعلٍ وسيقول للإله "إنَّك لن تدخل الجنة هُنا".[١]

ومما لا شك فيه أنّ "الدعوة إلى استخدام الفن بهذه الصورة المُبتذلة إنما يُمثل في حقيقة الأمر واقعًا غربيًا، ارتبط فيه الأدب الغربي بالأدب الإغريقي الذي يتصارع فيه الإنسان مع الآلهة وينتصر عليها في نهاية المطاف، وفي هذا إعلاء للوثنية على فطرة التوحيد وإحلالًا للرذيلة محل الفضيلة."[٢]

رابعًا: الواقعية البراجماتية:

تُعد البراجماتية إحدى مدارس الفلسفة الواقعية، "وهي ترى أنّ العِلم عبارة عن حقيقة مرنة غير مكتملة يمكن وصفها بالتَّعدد والتَّغير. وهي بهذا فلسفة واقعية ترى أنّ المعرفة الجزئية ممكنة، وأنّ أجزاء الواقع مستقلة بعضها عن بعض، ومستقلة عن العقل المدرِك. ومن ثَمَّ فهي تنظر إلى الأشياء والوقائع بدلًا من النظر إلى المقولات والمبادئ العقلية.

والمذهب البراجماتي يضع العمل مبدأ مطلقًا للمعرفة. والقاعدة الأساسية فيها هي: أنّ تصورنا لموضوع ما، هو تصورنا لما قد ينتج عنه من آثار عملية؛ فمقياس الحقيقة ومعيارها العمل المنتَج، وليس الحكم العقلي." [٣]

"وتعد الواقعية البراجماتية أرقى من الواقعية الدَّارِجة وأكثر نضجًا منها. فالرجل البراجماتي ليس له غرور الرجل الساذج وتزمته. وهو يعترف مقدمًا بأخطائه، هذا فضلًا عن أنّ البراجماتي لا يقف في سلوكه عند الظاهر من الأمور كما يفعل الرجل العادي، وذلك أنّه طموح يريد أن يحقق للإنسان كل ما يُفِيده في حياته، ومن أجل هذا فإنه يتخذ لنفسه شعار (ليس هذا كافيًا تمامًا).

---

(١) "تاريخ الفكر الأوروبي الحديث"، فرانكلين. أ، ل. باومر. الهيئة المصرية للكتاب، مصر ١٩٨٩م. ص ٨٧ بتصرف.

(٢) "مقدمة العلوم والمناهج"، أنور الجندي. المجلد التاسع ط دار الانتصار، مصر – بدون الطبعة والتاريخ. ص ١٦١ وما بعدها بتصرف.

(٣) "نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة"، د. راجح الكردي. مكتبة المؤيد، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٢هـ. ص ٣٠٣ بتصرف.

في الوقت نفسه "فإن الرجل البراجماتي لا يهتم بالواقع إلا بالقدر الذي يُفيده ليكون متماشيًا مع مصالحه الشخصية وحاجاته الفردية، فهو لا يهتم إلا بما يعينه هو، ولا يعترف بحقيقة إلا بما تؤدي إلى تحقيق أغراضه."(١) وقد تشعب مفهوم البرجماتية إلى شُعب متعددة، فمنها البرجماتية الإنسانية، والبيولوجية، وغير ذلك من الأنواع التي انشطرت من هذه الفلسفة.(٢) وبهذا يتضح لنا أنّ البراجماتية مذهب نَفعي مادي جملة وتفصيلاً؛ حيث يعتمد هو الآخر على معطيات الحواس ولا يعترف بغيرها بديلاً.

خامسًا: الواقعية الإنجليزية الجديدة:

كذلك من أهم أنواع الواقعية التي انتشرت في المُجتمع الغربي: "الواقعية الجديدة. وهي فلسفة نقدية لا تأملية وموقفها من الميتافيزيقيا مُتشكك وعدائي، كما أنها ترفض الاقتراب من الدين وهي لا تُبدي اهتمامًا بشيء يتجاوز التجربة." (٣)

هذا، وقد "ظهرت الواقعية الجديدة في وقت مقارب لظهور المذهب البراجماتي، لكن المذهب الأخير كان نبتة أمريكية، أما الواقعية الجديدة فهي نبتة إنجليزية أصيلة."(٤)

"وقد ظهرت في الولايات المُتحدة الأمريكية في أوائل القرن العشرين وفق عدة أسسٍ ومبادئ نُشرت سنة ١٩١٠م، من أهمها ما يلي:

١- على العقل أن يخفف من ادعاءاته ويُضيِّق من دائرة الحقوق التي منحها لنفسه على مر العصور. والواقعيون لا يطالبون بإلغاء العقل ولا يجعلون منه مجرد نسخة للظواهر الطبيعية أو محاكاة لها، كما يقال عادة. وإنما لا يوافقون فقط على أن يجعلوا العقل يحتكر هذه السلطات الواسعة التي خولها لنفسه، ويفضلون أن يقوم العقل بتوزيع هذه السلطات

---

(١) مقدمة في الفلسفة العامة د. يحي هويدي. ص ٢٥١ بتصرف. سابق.

حول البرجماتية راجع ما يلي:

- "الفلسفة، أنواعها ومُشكلاتها"، هنتر ميد، ص٤٣٢. سابق.

- "مدخل إلى الفلسفة"، د. إمام عبد الفتاح أمام. ط دار الثقافة للطباعة والنشر – القاهرة، الرابعة ١٩٧٧م. ص٢٨٤.

(٢) حول الفلسفة البرجماتية راجع بالتفصيل كتاب "الفلسفة المُعاصرة، د. محمد مهران وآخرون. طبعة دار قباء، مصر، ٢٠٠٣. ص ٤٥.

(٣) "مُحاضرات في الفلسفة الجديدة والمعاصرة"، د. عبد المقصود عبد الغني، سابق. ص١١٣ بتصرف.

حول "الواقعية الإنجليزية الجديدة" راجع:

- "دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي"، د. حسين مروة. ط مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٨م. ص١٠٥.

- "تاريخ الفلسفة الحديثة أ. و. بن، ترجمة عبد المجيد عبد الرحيم، ط الأنجلو المصرية بدون تاريخ، ص ٢١٤ وما بعدها.

(٤)"مدخل إلى الفلسفة"، د. إمام عبد الفتاح إمام. سابق، ص٣٧ ، بتصرف.

بينه وبين الطبيعة أو بينه وبين الأشياء والظواهر في الطبيعة.

وفضلاً عن ذلك فالعقل يخطئ واكتشافه لخطئه المتواصل لابد أن يكون قد أقنعه على مر العصور بأن كلمته ليست دائمًا هي العليا.

٢- وجود الأشياء ليس رهنًا بمعرفتها. وذلك لأننا يجب أن نفرق في الشيء أو في الظاهرة بين الجزء البسيط الذي تستطيع الذات العارفة أن تُلم به. وبين وجود الشيء أو وجود الظاهرة الذي يفوق ما نعرفه منها. ومعنى ذلك: أنّ هناك صلة بين الشيء موضوع المعرفة وبين الذات العارفة، ولكن هذه الصلة لا تتعدى حدود المعرفة إلى الوجود، أعني أنّ الشيء لا يعتمد على الذات في وجوده.

٣- وجود الشيء ليس قائمًا في مجرد إدراكه. وكل ما نستطيع أن نقوله في هذا الصدد أنّ إدراك الشيء هو إدراكه، ومعنى ذلك أنّ فعل الإدراك لا يؤثر إلا في الشيء باعتباره مدركًا لا في وجود هذا الشيء بصفة عامة، مع ملاحظة أنّ هذا الوجود يفوق الوجود المدرك.

٤- وينتج من ذلك أنّ وجود الشيء مستقل عن الذات، وهذا هو ما يسميه الواقعيون: تفوق الموضوع. وليس معنى الاستقلال هنا أنّ ثمة حدًا فاصلًا بين الموضوع والذات، بل معناه فقط أنّ الذات لا تؤثر في وجود الشيء باعتباره موجودًا متقومًا في الخارج، وأنّ الذات تتصل بالموضوع اتصالًا ما، ولكنها لا تؤثر في وجوده.

٥- لا تعتمد معرفتنا للشيء على العقل وحده ، إذ إن موضع الشيء بالنسبة إلى ما يحيط به من أشياء أخرى في المكان، والإطار الموضوعي الذي يظهر به في الوجود الواقعي، أو في السكون وانتمائه إلى "مجموعة معينة" من الأشياء، كل هذا يؤدي إلى توضيح الموضوع بالنسبة لنا، وهذا التوضيح لم يكن للعقل نصيبٌ فيه على الإطلاق."[١]

هذا، "وقد انتهى الأمر بالواقعيين إلى القول بأنّ الشيء الواحد قد يوجد باعتباره "فكرة" وقد يوجد باعتباره شيئًا محاطًا بأشياء أخرى. فهذه المائدة التي أمامي، عندما أناقش علاقتها بالذات العارفة أو استقلالها عنها فإنني لا أناقش إلا "المائدة، أو فكرة المائدة " ولكني عندما أوجه نظري إلى وجود هذه المائدة أمام هذا الكرسي الذي أجلس عليه ومستندًا على هذا الحائط، فإني أناقش في هذه الحالة الوجود الواقعي للمائدة، وفي هذا قضاء على الثنائية التقليدية بين الذات والموضوع.

---

(١) كتاب "مقدمة في الفلسفة"، د. يحي هويدي. سابق، ص ٢٥٦ وما بعدها بتصرف.

إذ إننا قد رأينا أن المائدة قد توجد لا باعتبارها موضوعًا للذات العارفة أو فكرة لها، وهذا الوجود الثاني للمائدة لا يختلف عن وجود المائدة باعتبارها فكرة."[1]

سادسًا: المدرسة التجريبية[2] على يد (جون لوك):[3]

وهذه المدرسة تقوم على "أنّ المعرفة الإنسانية مستمدة من التجربة وأنّ الأفكار مأخوذة من مصدرين هما: الإحساس والإدراك. كما ادعت التجريبية الواقعية أنّ الحقيقة مطابقة للواقع. حيث إن الأصل عند هذه المدرسة هو عالم المادة أو الموضوع الخارجي. أمّا عالم الفكر أو الذات، إنما هو نتاج عالم الموضوع. ومن ثم فَسَدُّ الفجوة إنما هو عن طريق الاعتراف بوجود واقع خارجي هو مصدر للمعطيات الحسية، ولكنه هو نفسه ليس المعطيات الحسية القائمة على الحواس، وإنما هو شيء قائم وحده هناك يبعث هذه الرسائل – المعطيات – إلى حواس الإنسان، ويعطي الحواس ما يعطيها من معطيات."[4]

هذه هي ملامح المدرسة التجريبية الواقعية والتي تبين لنا من خلال النظر فيما

---

(١) "مقدمة في الفلسفة"، د. يحي هويدي، سابق، ص ٢٥٩ وما بعدها بتصرف.

(٢) الفلسفة التجريبية هي التي تؤمن بأن التجربة هي المصدر الأول لجميع المعارف البشرية. ومن هنا فإنّ التجريبيين لا يعترفون بمعارف عقلية سابقة على التجربة، ويعتبرون التجربة هي الأساس والمقياس الصحيح للحكم على الأشياء. – راجع "فلسفتنا"، محمد باقر الصدر. طبعة وزارة التعارف للمطبوعات، بدون الطبعة والتاريخ والمكان. ص ٦٦ وما بعدها.

هذا وقد رفع التجريبيون شعار "ليس في العقل شيء إلا وقد سبق وجوده في الحس أولًا". ويعد "جون لوك" المتوفى سنة ١٧٠٤م من أشهر فلاسفة هذا المذهب. – راجع "مدخل نقدي لدراسة الفلسفة"، د. محمد عبد الله الشرقاوي. سابق، ص ٢٦٠. وكذلك كتاب "تمهيد للفلسفة"، د. محمود حمدي زقزوق. طبعة مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩. ص ١٥٦ وما بعدها.

وقيل إن الفلسفة التجريبية هي التي ترى أنّ تحصيل الإنسان للحقائق الكونية ومعرفته بها لا يكون إلا بالتجربة الحسية وحدها. ومعنى ذلك أنّ الحسي المشاهد هو المصدر الوحيد للمعرفة الحقيقية اليقينية، ففي العالم الحسي تكمن حقائق الأشياء أما انتزاع المعرفة من وراء الطبيعة والبحث عن العله في هذا المجال فهو أمر يجب أن يرفض. ("الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار" د. محمد البهي. سابق. ص٢٧٤ وما بعدها بتصرف.)

هذا، والمذهب التجريبي لا يعترف بإله؛ لأنّه لا يؤمن بما وراء الطبيعة. – راجع "في الفلسفة الحديثة"، جيمس كولينز، ترجمة: فؤاد كامل. طبعة دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، الثانية، ١٩٩٨. ص ١٣٧ وما بعدها.

(٣) فيلسوف إنجليزي شهير، ولد سنة ١٦٣٢م، وتُوفي سنة ١٧٠٤م. وهو من أشهر رواد المذهب التجريبي – راجع "الرومانتيكية والواقعية"، يانكو لامرين، ترجمة: حلمي راغب. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥، ص ١٧. وكذلك راجع كتاب "جون لوك"، د. عزمي إسلام. طبعة دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون الطبعة والتاريخ. ص ٧ وما بعدها.

(٤) "كتاب نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة" د. راجح الكردي. سابق، ص٢٩٨ وما بعدها. بتصرف.

ذهبت إليه أنها فلسفة مادية شأنها شأن ما سبق من الصور المختلفة للواقعية.

سابعًا: الواقعية التحليلية:

كذلك من الصور التي برزت من خلالها الواقعية في العصر الحديث: "الواقعية التحليلية"، "وهي واقعية ظهرت عند أصحاب الوضعية المنطقية[1]، أطلق عليها **(برتراند رسل)**[2] . وهو أحد مؤسسي هذا المذهب . اسم الواقعية التحليلية. حيث يعتقد (رسل) . شأنه في ذلك شأن جميع الواقعيين . أنّ وجود الأشياء ليس رهنا بمعرفتها، أي أنّ وجود الشيء مستقل عن معرفتي له ويتعدى أو يفوق هذه المعرفة. لكن واقعية (رسل) تتصف بصفة أخرى، وهو أنها تحليلية، فما الذي يقصده رسل بهذه الكلمة؟

الفلسفة عند (رسل) عبارة عن تحليل للألفاظ والقضايا التي يستخدمها العلماء والتي يقولها الناس في حياتهم اليومية. فليس من شأن الفيلسوف أن يقول للناس خبرًا جديدًا عن العالم. وليس من مهمته أن يحكم على الأشياء بل إنّ مهمته محصورة في تحليل وتوضيح المعاني والألفاظ والعبارات تحليلًا وتوضيحًا منطقيَّيْن. ومعنى ذلك أن الوجود الحقيقي عند (رسل) وأصحاب الوضعية المنطقية ليس هو الوجود الشيئي أو وجود الموضوعات الشيئية، بل وجود المعاني والماهيات الرياضية أو المنطقية التي يقوم الفيلسوف بتحليلها. وهذا يؤدي في نهاية الأمر إلى أن يحيل الوجود الواقعي المتمدد في المكان وفي الزمان

---

(١) اتجاه ظهر في القرن العشرين يقوم أساسًا على التجربة والمشاهدة وقد أطلق على هذا الاتجاه اسم التجريبية المنطقية والوضعية المنطقية ويذهب أصحاب هذا الاتجاه إلى أن الدين يشتمل على معتقدات لا يمكن إثباتها بالتجربة بحيث لا يمكن إثبات صدقها أو كذبها تجريبيًا. ("فلسفة الدين في الفكر الغربي" د. إحسان علي الحيدري، طبعة دار الرافدين للطباعة، بيروت – لبنان. ص٩٥ بتصرف) هذا وتعتبر الوضعية هي الصورة المتطرفة للمذهب الطبيعي الذي ينكر الاعتقاد بما وراء الطبيعة ولا يعتد إلا بالمشاهد المحسوس كما ينكر الإيمان بالعالم الآخر وكل ما وراء الطبيعة. "الفلسفة أنواعها ومشكلاتها"، تأليف هنتر ميد، سابق ص٨٧ وما بعدها بتصرف.

ويعتقد أتباع الوضعية المنطقية أنه لا يوجد إله لهذا الكون، لأنه لا يخضع للمقاييس المادية. ("مدخل نقدي لدراسة الفلسفة" د. محمد عبد الله الشرقاوي. سابق، ص ١٦٨ وما بعدها.)

(٢) فيلسوف إنجليزي واسع الثقافة والفكر، كان والده متحرر الفكر وكانت والدته لها نشاط أدبي واسع المدى. له العديد من المؤلفات الفلسفية والآداب وقد حصل على جائزة نوبل في الأدب سنة ١٩٥٠م.

(راجع "موسوعة الأبحاث الفلسفية (الفلسفة الغربية)" ج١، تأليف مجموعة من الأكاديميين العرب. طبعة منشورات ضفاف المغرب بدون الطبعة والتاريخ، ص ٥٤٧ وما بعدها. وكذلك راجع "الفلسفة وقضايا العصر"، جون ر. بورر، ترجمة: د. أحمد حمدي محمود. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ج٣، ١٩٩١م. ص ٢٣ وما بعدها بتصرف. وكذلك راجع "تاريخ الفلسفة الحديثة"، يوسف كرم. سابق، ص٤٣١.)

المكاني إلى وجود مجرد هو وجود الماهيات الرياضية والمنطقية وهو يمثل عند (رسل) الوجود الواقعي بمعنى الكلمة."[1]

هذه أبرز الصور التي ظهرت من خلالها الواقعية في العصر الحديث والتي تبين لنا من خلالها أنها تتفق فيما بينها في الجوهر وإن اختلفت في الأسماء حسب الزمان والمكان، كما يتضح لنا أيضا أنّ الفلسفة الواقعية قد ظهرت في ثوب وضعي لا يختلف في مضمونه عن الثوب الواقعي، فكلاهما وجهان لعملة واحدة.

هذا، وبعد الإشارة إلى أهم المراحل التي مرت بها الواقعية؛ يأتي الحديث عن موقف الواقعية من الدين، وهذا ما نشير إليه في المبحث التالي:

---

(١) كتاب "مقدمة في الفلسفة العامة"، د. يحي هويدي، مرجع سابق. ص ٢٥٢ وما بعدها بتصرف.

المبحث الثالث
موقف الواقعية من الدين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

الواقعية وإنكار الدين والزعم بعدم صلاحيته

المطلب الثاني:

الواقعية والدعوة لديانة الإنسانية بديلًا عن الدين

المطلب الأول

الواقعية وإنكار الدين والزعم بعدم صلاحيته

قبل الحديث عن قضية إنكار الدين لدى الفلسفة الواقعية، أود الإشارة إلى عدة أمور، هي من الأهمية بمكان في هذا الموضوع:

أهم الأمور التي ينبغي مراعاتها في علاقة الواقعية بالدين:

الأمر الأول: أنّ الفلسفة الحقّة لا تعادي الدين: لأنها تبحث في الوصول إلى الإله الحقّ . سبحانه وتعالى، وتردُّ على منكريه، فالدين لا يعادي الحق، والفلسفة تبحث عن الحق، والحق لا يعادي الحق.[١]

ومن هنا يمكن القول: إنّ هناك علاقة قوية بين الدين والفلسفة، ولتأكيد هذه العلاقة . خاصة في بلاد اليونان . برزت العبارة الشهيرة التي تقول: إن الفلسفة هي بنت الدين، وأم العلم، وذلك من منطلق أنّ الدين هو الذي مهّد لها، في حين أنّها هي اللي أنتجت العلم في هذه البلاد.[٢]

الأمر الثاني: مناوئة الفلسفة اليونانية القديمة للدين في بعض مراحلها: إن الفلسفة اليونانية القديمة وإن كانت قد نشأت في بيئة متدينة إلا أن هذه البيئة في بعض جوانبها لم تكن متساوقة مع الدين بل متعالية عليه وساخرة منه؛ حيث كان البعض يسخر من الآلهة باعتبار أن البشر هم الذين خلقوا هذه الآلهة وليست الآلهة هي الخالقة لهؤلاء البشر..[٣]

الأمر الثالث: ارتباط الفلسفة الواقعية بالدين منذ نشأتها: إنّ الفلسفة الواقعية في صورتها الأولى التي أقامها أفلاطون وطورها عن أستاذه سقراط من خلال ما أسماه أفلاطون بنظرية المُثُل، هذه الواقعية إنما نشأت في بيئة مُتدينة حيث كان المُجتمع اليوناني في هذا الوقت يلفه الدين من زواياه المُختلفة، وإن كان هذا الدين وثنيًا وانحرافًا عن عقيدة التوحيد[٤] التي جاء بها الأنبياء والرسل . عليهم الصلاة والسلام . مصداقًا لقوله .

---

(١) "في تاريخ الفلسفة اليونانية"، د. عوض الله حجازي، سابق. ص٧ ، بتصرف.

(٢) "مدخل إلى الفلسفة": د. نجاح حسن، ط. الفتح للإعلام العربي، بدون الطبعة والتاريخ، ص ٦٦، بتصرف.

(٣) راجع بالتفصيل: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة: إيميل بترو سابق ص٩ وما بعدها. كذلك راجع: فلسفة الدين في الفكر الغربي" د. إحسان علي الحيدري سابق ص١١٩ وما بعدها

(٤) لقد عبد اليونان العديد من المعبودات الوثنية من مظاهر الطبيعة وغيرها من المعبودات المحلية والوافدة من المجتمعات المجاورة له، مثل المُجتمع المصري القديم. حول هذا الموضوع راجع ما يلي: ===

تعالى . : ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ   ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ.[١]

في الوقت نفسه فإنّ هذه البيئة اليونانية المُتدينة قد نضحت على كثير من الفلسفات اليونانية، سواءً مرحلة ما قبل سقراط أو ما بعده.[٢] بل إنّ أفلاطون نفسه . المُنَظِّر الأول للواقعية . كان مُتدينًا ولم يكن مُلحدًا أو معزولًا عن بيئته الدينية بحال من الأحوال.[٣] حيث كان أفلاطون يعتقد بوجود إله ويرى أنه خيِّرٌ في ذاته وأنه صادق في أفعاله وأنّه أسمى قدراً من الحكمة، كما أنّه عادلٌ في كل أحواله، ولا يمنع هذا أن يكون أفلاطون لديه تعدد في الآلهة، وإن كانت الآلهة عنده تتميز بأنها أزلية وأبدية وتتصف

=== – "الدين عند الإغريق والرومان والمسيحيين"، أبكار الثقاف. ط مؤسسة الإرشاد العربي – بيروت لبنان، الأولى ٢٠٠٤، ص٢٢ وما بعدها.

– "الدين والفلسفة والعلم"، السيد محمود أبو الفضل المنوفي. ط دار الكتب الحديثة – مصر، بدون الطبعة والتاريخ، ص١١١ وما بعدها.

– "أصل الفلسفة"، د. حسن طلب. ط عين للدراسات والبحوث الإنسانية – مصر، الأولى ٢٠١٣، ص١٣٢ وما بعدها.

– "الرومانتيكية والواقعية"، تأليف يانكو لافرين، ترجمة حلمي راغب. ط دار الهيئة المصرية للكتاب – مصر ١٩٩٥، ص٢٨.

– "تاريخ العالم الإغريقي وحضارته"، فوزي مكاوي. ط المكتب المصري لتوزيع المطبوعات – مصر ١٩٩٩، ص٦٠ وما بعدها.

– "تراث العالم القديم"، تأليف و. ج دي بورج، ترجمة: زكى سوس. طبعة الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٩م. ص ١٤٠ وما بعدها.

(١) سورة فاطر، الآية ٢٤.

(٢) حول علاقة الدين بالفلسفة في المُجتمع اليوناني القديم قبل سقراط وبعده، راجع ما يلي:

– "تاريخ الفلسفة"، الكتاب الأول. فواد سواف. سابق. ص ٩٩ وما بعدها.

– "سقراط، الرجل الذي جريء على السؤال"، كورا مسيون، ترجمة محمود محمد. ط مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ١٩٥٦، ص٣٢ وما بعدها.

– "قصة الفلسفة"، ول ديورانت. ط مكتبة المعارف – بيروت – لبنان، الأولى ٢٠٠٤، ص ٧٤ وما بعدها.

– "أصل الفلسفة"، د. حسن طلب، سابق، ص ١٤٢ وما بعدها.

(٣) حول علاقة أفلاطون بالدين راجع ما يلي:

– "المشكلات الكبرى للفلسفة اليونانية"، أوليف جيجون، ترجمة: عزمي قرني. ط دار النهضة العربية – القاهرة، سنة ١٩٧٦، ص٣١٥.

– "أفلاطون"، تأليف: ثياتيتوس، ترجمة: أميرة حلمي مطر، بدون الطبعة والتاريخ، ص١٨٢.

– "تاريخ الفلسفة"، الكتاب الأول، فواد سواف. سابق، ص١٩٣.

– "في تاريخ الفلسفة اليونانية"، د. عوض الله حجازي وآخرون. ص ١٦١ وما بعدها.

بالكمال والعدل.[١]

ومن هُنا يُمكن القول: إنّ الواقعية في صورتها الأولى لم تكن مُعادية للدين لكونها لم تتشكل كمذهب فلسفي بعد، ولكون مؤسسها الأول أفلاطون لم يكن معاديًا للدين أو متمردًا عليه.

الأمر الرابع: ارتباط الواقعية في العصور الوسطى بالدين ومسايرتها للكنيسة:

إنّ الواقعية في العصور الوسطى وإن بدت كمذهب فلسفي في مقابل المذاهب الفلسفية الأخرى، إلا إنّ الواقعية كانت مُسايرة للكنيسة ولم تكن مُعارضة لها، ولهذا تبنتها الكنيسة وجعلتها الوسيلة الفعالة لفهم العقائد المسيحية وفي هذا الشأن يمكن القول: إنّ الفلسفة الواقعية في هذه المرحلة كانت عونًا للدين ولم تكن عونًا عليه. [٢]

أمّا إذا نظرنا إلى الواقعية في العصر الحديث فإننا نجد أنها قد تعاملت مع الدين تعاملا رديئًا ينمُّ عن جرح غائر وحقد دفين تجاه الدين لدى هذه الفلسفة.

وقبل الحديث عن هذا الموقف السيء من الدين أودّ التأكيد على أنّ مفهوم الدين لدى (أوجست كونت)، هو مفهوم مادي مشوش، لا علاقة له بالسماء، فهو نتاج تفاعل بين الإُنسان وخياله وعاطفته، مع التنسيق مع عقله، "فالدين في نظر أوجست كونت هو ثمرة العاطفة والخيال، وهما الأساس في تكوينه والإحساس به، كما أن العقل هو المُحرك الأول لهذه العاطفة.[٣]

كما يعتقد (أوجست كونت) أنّ "الدين هو خاصية النوع الإنساني ويعرفه بأنه هو

---

(١) "المعرفة والألوهية عند أفلاطون وأرسطو"، د. شريف مصباح، سابق. ص ١٢٧ وما بعدها بتصرف.

(٢) راجع بالتفصيل:

-"روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط"، أيتين جلسون، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام. سابق، ص ٢٨١ وما بعدها.

- "أفكار ورجال – قصة الفكر الغربي" كرين برنت. سابق، ص ٢٢٣ وما بعدها.

- "مدخل الى الفلسفة"، جون لويس، ترجمة: أنور عبد الملك. ص ٨٠ وما بعدها.

- العلم والدين في الفلسفة المعاصرة: إيميل بترو سابق ص١٤ وما بعدها.

- فلسفة الدين في الفكر الغربي" د. إحسان علي الحيدري سابق ص١٢٠ وما بعدها

(٣) لا يخرج مفهوم الدين لدى بعض علماء الغرب عن هذا المفهوم؛ حيث ينظرون إلى الدين على أنه علاقة ثنائية بين طرف سام والإنسان فضلاً عن أن الدين هو حالة من الشعور والإحساس والمشاعر تربط بين الإنسان والأشياء المقدسة التي يؤلهها وهنا يحل المقدس بدلاً عن مفهوم الإله – "فلسفة الدين في الفكر الغربي"، د. إحسان علي الحيدري، سابق، ص ٢٨ وما بعدها، بتصرف.

المبدأ الأكبر المُوحد لجميع قوى الفرد ولجميع الأفراد فيما بينهم.

هذا، وترى الفلسفة الواقعية أنّها في غنى عن الميتافيزيقيا، وإن كانت لا تعارضها معارضة مباشرة، بل إنّها تعترف باستحالة عدم التدليل على الروحانيات، كما تقرر أيضًا استحالة التدليل على وجودها. وبهذا تتميز الواقعية عن المذهب الحسي المعروف أو المذهب المادي الذي ينكر الروحانيات إنكارًا ولا يعترف بها."[1]

وبهذا يتبين لنا أن مفهوم الدين لدى (أوجست كونت) لا ينمّ عن كون هذا الدين له علاقة إلهية، بل يدل دلالة قاطعة على أنّ الدين في نظره هو نبتة أرضية مقطوعة الصلة بالسماء. وعلى الرغم من نظرة الواقعية إلى الدين بهذه الصورة المادية، فإن (أوجست كونت) يرى أنّ الدين من الأهمية بمكان، "حيث يعتقد بأنّ الدين من دعامات المجتمع الأساسية ومن العوامل المهمة في تطور البشرية لأنه يمثل الرابطة الدائمة بين الناس".[2]

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه في هذا المجال هو: أي دين يريده (أوجست كونت)؟! والجواب: إنه الدين الوضعي الذي ينبغي أن يصفّى من كل له علاقة بالدين الإلهي، وهذا ما أكّده **(إيميل بترو)** بقوله:

"لقد حققت الأديان بطريقتها الخاصة وحدة القلوب؛ وهي شرط وحدة العقول. ويجب أن يستخلص الكيان الإنساني من تلك المؤسسات القديمة ويحتفظ بها؛ ما دامت المعتقدات التي قامت على أساسها قد حُكم عليها بالزوال، فهذا هو الدين بعد أن يجدد نفسه.

أما المنهج الذي نتبعه في إجراء هذا التجديد فهو استخلاص العنصر الوضعي الإنساني الثابت من العناصر السلبية الهرمة التي تحتويها الأديان التقليدية؛ والتي اتخذت من ذلك العنصر الوضعي مطية لها. وبذلك يكتمل المذهب الوضعي؛ ويتوجه على هذا النحو الدين الوضعي."[3]

في الوقت نفسه إذا كانت الواقعية تقر بأهمية الدين في حياة الإنسان "فإنها ترفض أن يكون هذا الدين خارج إطار المجتمع نفسه حيث إن العقل الوضعي لا يتصور وجود إله غير الإله الذي يظهر في صورة الإنسانية، وهو من المتناقضات التي تقع فيها الوضعية. فالوجود الروحي لا يمكن أبدا اختزاله في بعده المادي المفارق له، ولا يثبت له

---

(١) "تاريخ الفلسفة الحديثة"، يوسف كرم، سابق، ص ٣٢٠، وما بعدها، بتصرف.

(٢) "أوجست كونت في ميزان الفكر الاجتماعي الغربي"، د. مها سهيل المقدم، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٩٤م، ص ٤٦ بتصرف.

(٣) "العلم والدين في الفلسفة المُعاصرة"، إيميل بترو. ص ٤٩. بتصرف.

وجود إلا خارج هذا الوجود المحسوس.

إنّ الدافع إلى هذا الاختزال هو تأكيد الوضعية لنزعتها الواقعية والحسية المفرطة، وهي بهذه الممارسة لا تريد أن تدرك حقائق الوجود على ما هي عليه في حقيقتها، ومن ثم تتجاوز حدود العلم إلى الاعتقاد في العلم، ويتحول العلم معها إلى فلسفة، ومن ثم تدخل في المجال الميتافيزيقي. وليس هذا الجانب سوى الطرف المقابل للحقيقة والواقع. تلك هي نتيجة الواقعية الساذجة التي انتهت إليها الوضعية، لقد انتهت إلى معتقد لا يختلف كثيرًا عن المعتقد اللاهوتي؛ بل تتبنى كل خصائصه وأفكاره ومُثله." [١]

ومن هنا يمكن القول: بأنّ الواقعية وإن أقرت بأهمية الدين "فإنها تعني بذلك الدين الوضعي. وذلك لأنّها لا تُقر بإله خارج نطاق المجتمع، وقد ترتب على ذلك أنّ الواقعية أنكرت الدين ولم تقر به باعتبار أنّه غير علمي أو وضعي، لأنه لا يخضع للملاحظة والتجربة، فضلًا عن أنّه كان يمثل المرحلة البدائية للعقل البشري، وأنّ هذا العقل قد تطور وتقدم وتجاوز هذه المرحلة الطفولية البدائية. كما زعمت هذه الفلسفة أنّه بانتهاء العصرين اللاهوتي والميتافيزيقي تكون الإنسانية قد أنهت مرحلتي الطفولة والمراهقة ودخلت في سن النضج، فلننتقل إذن إلى العصر الوضعي. أي فلنحذف اللاهوت والميتافيزيقيا نهائيًا ونستبدل بهما الفلسفة الوضعية بشروطها الأربعة:

١- تبديل محتوى الأسئلة وتحويلها فيما هو ممكن إنسانيًا.

٢- اعتماد الحساب والتجربة بدلًا من الأحكام المسبقة لأنها عقيمة وباطلة.

٣- الاعتماد على النسبية في تقييم الأشياء حيث لا توجد حقيقة مطلقة.

٤- الاهتمام بما هو قابل للتطبيق حيث يجب ألا تكون المعرفة للمعرفة فقط، فهذا عبث لابد من التخلي عنه."[٢]

وبهذا تتضح لنا رؤية الواقعية للدين من حيث كونه صنيعة إنسانية أملتها الظروف والأحوال التي مر بها الإنسان عبر تاريخه الطويل.

وفي التأكيد على إنكار الواقعية للدين يقول الدكتور/ محمد البهي:" الواقعية ترتكز على الواقع وحده وتنكر ما وراء الواقع – أي ما وراء الذي يخضع للملاحظة والتجربة – وإذا أنكر هذا المذهب وجود مالا يخضع للملاحظة والتجربة؛ فالألوهية وما يتصل بها من

---

(١)"منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية"، د. محمد محمد أمزيان. ص ٨١ بتصرف.

(٢)"مدخل نقدي لدراسة الفلسفة"، د. محمد عبد الله الشرقاوي. سابق، ١٥٧ وما بعدها بتصرف.

الوحي والرسالة في مقدمة ما ينكر وجوده". [١] ثم يضيف الدكتور/ البهي قائلا:" المذهب الواقعي مذهب وجودي يرى الوجود الحقيقي الواقعي في الفرد من الناس؛ ثم في جماعته البشرية العامة ؛ وهو مذهب لا يقوّم إلا الفرد في صفحته المادية؛ والجماعة الإنسانية في وجودها المادي؛ وما عدا ذلك مما يعرف بالله؛ والقيم المجردة وهى الفضائل في ذاتها؛ والمبادئ العليا التي يجعلها المثاليون هدف الحياة الإنسانية؛ عديم القيمة في رأى هذا المذهب الواقعي" . [٢]

وبهذا يتبين لنا أن الفلسفة الواقعية تنكر الدين الإلهي وكل ما وراء الطبيعة، ولا تنظر إلا إلى الواقع المشاهد، الذي يعد بالنسبة لها كل ما يعبر عن الحقيقة الواقعية، أما غير ذلك مما وراء الواقع المشاهد فهو محض خيال وخارج عن نطاق العلم الذي يعدّ رمانة الميزان في الحكم على الأشياء وصحتها لدى الفلسفة الواقعية.

في الوقت نفسه، فإن الواقعية لم تقف عند حدود إنكار الدين، وإنما زعمت بتطور الفكر الإنساني عبر التاريخ.

وهنا أودّ التأكيد على أنّ الواقعية "قد نظرت إلى الإنسان نظرة متدنية، حيث زعمت أنّه "لا يختلف بتاتًا عن الحيوان، إلا إنه يملك . بشكل أكثر تنوعًا وكمالًا . ما هو عند الحيوان أقل كمالًا وأكثر اختلاطًا."[٣]

كما "ينظر الواقعيون إلى العقل الإنساني باعتباره كائنًا فارغًا غير متطور تصب فيه الخبرات التي يحدد لها المجتمع صلاحها أو فسادها، من خلال تعليم العادات السيئة، أو الصالحة بشكل تلقائي أو متعمد."[٤]

وبما أنّ الإنسان في نظر الواقعية لا يختلف كثيرًا عن الحيوان، فقد نظر إليه (أوجست كونت) من زاوية ذكائه الإنساني على أنّه متطور فكريًا عبر التاريخ. وهذا ما أكده (سان سيمون)[٥] . أبرز رموز الواقعية وأستاذ أوجست كونت . حيث زعم "أنّ الإنسانية

---

(١) الإسلام دين الإنسانية للدكتور/ محمد البهي – سابق ص٧٢، بتصرف.

(٢)الإسلام دين الإنسانية للدكتور/ محمد البهي – سابق ص٧٣.

(٣) مدخل نقدي لدراسة الفلسفة، د. محمد عبد الله الشرقاوي، سابق، ص١٥٩ وما بعدها بتصرف.

(٤) "مقدمة في فلسفة التربية"، وليم ج صمويل سون – فريد. ماركوويتز. ط دار الفرقان . عمان، الأولى ١٩٩٨م. ص ٢٣ بتصرف.

(٥) فيلسوف فرنسي وُلد سنة م١٧٦٠ وتُوفي سنة ١٨٢٥م. ("توابغ الفكر الغربي – سان سيمون"، سابق. ص ١٧ وما بعدها.)

قد مرت بمراحل تطورية مختلفة عبر التاريخ، وأنها مرت في تطورها بثلاثة عصور: الأول تخميني، أمّا الثاني فهو وسط بين التخمين والواقعية، أما الثالث فهو واقعي يرمز إلى تفسير العالم بقانون واحد."[١]

أمَّا (أوجست كونت) فقد أوضح هذا الأمر من خلال قانون "الأحوال الثلاثة"[٢]، حيث قرّر أنّ العقل الإنساني مرَّ بحالات ثلاث: حالة لاهوتية، وحالة ميتافيزيقية، وحالة واقعية."[٣]

وفي التأكيد على هذا ؛ يقول صاحب كتاب **تاريخ الفلسفة الحديثة:**

"إن المذهب الواقعي يرى أنّ الفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر الواقعية المحسوسة وما بينها من علاقات أو قوانين، وأن المثل الأعلى لليقين يتحقق في العلوم التجريبية، وأنه يجب من ثمة العدول عن كل بحث في العلل والغايات وما يُسمى في الأشياء بالذات. ويدلل "كونت" على ذلك فيقول: إن العقل قد مر بمراحل ثلاث: حالة لاهوتية – حالة ميتافيزيقية – حالة واقعية.

ففي الحالة اللاهوتية كان دأب العقل البحث عن كُنه الكائنات ومصيرها، وفي الحالة الميتافيزيقية كان العقل يرمي إلى استكناه صميم الأشياء وأصلها ومصيرها، أما في الحالة الواقعية فإن العقل يدرك امتناع الحصول على معارف مطلقة، فيقصر همه على تعريف الظواهر واستكشاف قوانينها، وترتيب القوانين من الخاص إلى العام، فتحل هنا الملاحظة محل الخيال والاستدلال."[٤]

وبهذا يتبين لنا خطأ ما ذهبت إليه الواقعية من إنكار الدين من ناحية، وتطوره من ناحية أخرى، وفي هذا يقول **(روجيه باستيد):**

"لقد ادعى (كونت) أنّ الدين قد تطور عبر التاريخ كما هو الشأن بالنسبة لتطور الذكاء الإنساني، وأنّ الدين عنده هو وليد الحاجة العملية لدى النوع الإنساني، وقد تشكل الدين أولًا بتطور (الديانة الفتشية) وهي التي تؤله مباشرة جميع الأشياء كالأشجار

---

(١) "المذهب الواقعي وأثره على الدين والأخلاق"، د. البهنسي رزق البهنسي، ص ٩٨ وما بعدها.

(٢) حول قانون الأحوال الثلاث لدى أوجست كونت راجع "الفلسفات الكُبرى"، بيير دوكا سييه، مرجع سابق. ص١٦٣. كذلك راجع "فلسفة الدين عند ويلتر سيتس"، سابق، ص٢٣. وراجع أيضًا "أصول علم الاجتماع ومصادره"، د. قباري محمد إسماعيل. سابق، ص ١٤٤ وما بعدها.

(٣) "الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه"، د. محمود عبد الحكيم عثمان. ص ٨٩.

(٤) كتاب "تاريخ الفلسفة الحديثة"، يوسف كرم، سابق. ص٤١٧ وما بعدها بتصرف. كذلك راجع "تاريخ الفكر الاجتماعي"، د. غريب سيد أحمد. ص٢٤٧ وما بعدها. سابق.

والحصى والمنابع، ثم مهدت عبادة النجوم التي تعد حلقة متوسطة لقيام ثورة دينية انتقلت بالإنسانية من عبادة الأصنام إلى القول بتعدد الآلهة."

ثم يضيف **(باستيد)** قائلا: "إن (كونت) يزعم أن هذا الانتقال هو ثورة لا مجرد تطور، ثم أدى كل ما تطور إلى ظهور التوحيد في نطاق المذهب الكاثوليكي الذي قضى على اعتراضات المذهب البروتستانتي، ومهد على هذا النحو لظهور المرحلة الأخيرة. وهكذا فالقانون الكبير للتطور الديني هو قانون الاضمحلال المطرد للتفكير الديني"[١].

هذا، وقد تبني إيميل دوركايم[٢] . التلميذ النجيب لأوجست كونت . الزعم بتطور الدين وأنه بدأ في صورته الأولى بأن تصور الناس قوة لا شخصية متفرقة في الأشياء، ثم تشخصت هذه القوة في الطوطم أولًا وفي الإله الواحد أخيرًا، فتكونت لنا فكرة (الله) كموجود شخصي مقدس وهذه الفكرة (الله) ليست مستفادة مما نشعر به من قوة باطلة ولا مُكتسبة بالاستدلال، ولكنها اجتماعية، والدين أقوى مظاهر الحياة الاجتماعية وأهمها وإليه ترجع الصور التي انتظمت بها المعارف الإنسانية. [٣]

وبهذا يتضح لنا من خلال موقف الواقعية من الدين، أنّه موقف بُني على جهل عميق بالدين، وبالإنسان على السواء. "فالدين مركوز في الفطرة الإنسانية كما أن العوامل التي توقظ الفطرة فتبعثها لتبحث عن الله باقية ما بقي الإنسان في الأرض، لا تتغير مهما بلغ من علم الإنسان أو سيطرته على البيئة. ومن أجل ذلك، بقيت ظاهرة التدين قائمة خلال التاريخ البشري كله، بصرف النظر عن الجيل الممسوخ الذي دفعته عوامل معينة ومعروفة إلى مغالبة الفطرة والتبجح بإنكار وجود الله."[٤]

وفي هذا الشأن يقول صاحب كتاب **(مبادئ الفلسفة)**: "الاعتقاد في الله متأصل في نفوس الناس، ينبع حينا بعد آخر حتى في أجدب النفوس وأقحلها"[٥] .

كما يتضح لنا أنّ الواقعية مذهب مادي ملحد يرفض عالم الغيب، ولا يؤمن بالله .

---

(١) "مبادئ علم الاجتماع الديني"، روجيه باستيد، ترجمة: د. محمودقاسم. ط مكتبة الأنجلو المصرية، بدون ذكر الطبعة والتاريخ. ص٢١٥ وما بعدها بتصرف.

(٢) يُعدّ إيميل دوركايم علامة بارزة في علم الاجتماع، وقد ولد بفرنسا سنة ١٨٥٨م، وتوفي سنة ١٩١٧م. راجع: تاريخ الفكر الاجتماعي"، د. غريب سيد أحمد. سابق، ص ٢٩١، وما بعدها.

(٣)"تاريخ الفلسفة الحديثة"، يوسف كرم. ص ٢٣٤ بتصرف.

(٤) "مذاهب فكرية معاصرة" ، محمد قطب، ص ٣٤٨، دار الشروق، القاهرة، ط٩، ٢٠٠١م

(٥) "مبادئ الفلسفة": رابو برت، ترجمة: أحمد أمين، ط. مؤسسة هنداوي للتعليم الثقافة، مصر، بدون الطبعة والتاريخ، ص ١٠٧

تعالى . ؛ ولا يعترف إلا بالمادة.[١]

هذا ولم تقف الواقعية عند هذا الحدّ، وإنما سعت إلى إيجاد ديانة بديلة عن الدين الإلهي أسمتها "ديانة الإنسانية" وهذا ما نشير إليه بالتفصيل في المطلب التالي:

المطلب الثاني

الواقعية والدعوة لديانة الإنسانية بديلاً عن الدين

أولاً: التعريف بمفهوم ديانة الإنسانية وبيان الهدف منها:

أ) التعريف بمفهوم الدين لدى مؤسس الواقعية (أوجست كونت):

ربما يتخيل البعض أن إضافة كلمة دين إلى هذا الهُراء الذي أسمته الواقعية "ديانة الإنسانية" أو "الكائن الأعظم" يُوحى بأن (أوجست كونت) سوف يستمد أفكاره في هذه الديانة الجديدة من الدين التقليدي "المسيحية"، أو على أقل تقدير أنه ينظر إلى ذلك الدين التقليدي على أنه صالح للبقاء والتجاور مع ديانته الجديدة، ولكن خاب من ظن أن الثعبان يمكن أن ينفث عسلًا شهيًا. ومن هذا المُنطلق يمكن القول [إن كلمة "دين" التي صدَّرها (أوجست كونت) تفقد معناها السامي المعروف في جميع الديانات ولا تدل في فلسفته إلا على "اتحاد الأفراد في الحب والانسجام التام بين العقل والقلب". والدين الوضعي في نظره هو "دين الإنسانية" لأنها الحقيقة المجردة السامية التي يجب أن نتجه إليها بكل قلوبنا وعقولنا ونتوفر عليها بالتقديس والعبادة. فكأن فكرة "الإنسانية" عند كونت تحل محل فكرة (الله) في الأديان الراقية المعروفة.][٢]

وبهذا يتبين لنا أن كلمة دين هي كلمة مستعارة لا تُعبر عن الحقيقة بقدر ما تعبر عن الوهم الذي عاش فيه وعاش له مؤسس الفلسفة الواقعية. هذا وبعد الإشارة إلى مفهوم كلمة (دين) يأتي الحديث عن بيان مفهوم (الإنسانية) ليكتمل المعنى حول هذه العبارة الخطيرة "ديانة الإنسانية" التي لم تعرف الإنسانية لها مثيلا "والتي جعل منها أوجست كونت محرابًا وكعبة لبني الإنسان."[٣]

ب) التعريف بمفهوم الإنسانية لدى الفلسفة الواقعية:

إذا كانت كلمة (دين) قد زَيفَت الواقعية معناها فإن كلمة (إنسانية) قد أخرجتها الواقعية عن مضمونها إلى مضمون جديد لا يقف عند حدود المكان والزمان ومن عاش

---

(١) "المعجم الفلسفي – د/ مصطفي حسيبة – دار أسامة للنشر والتوزيع –الأردن – عمان – ط الأولى ٢٠٠٩– ص ٦٧٨.

(٢) "أجيست كونت"، د. مصطفى الخشاب. ط لجنة البيان العربي، القاهرة. الثانية ١٩٥٦. ص ١٣٧.

(٣) "أجيست كونت"، د. مصطفى الخشاب. سابق. ص١٤٢.

فيهما من البشر. فما هو هذا المضمون؟!

يجيب على هذا التساؤل ويعلق عليه صاحب كتاب "العلم والدين في الفلسفة المعاصرة" إيميل بترو، بقوله: "الإنسانية تتألف من كل ما أحس به الناس وفكروا فيه وقدموه من خير وفضل وباقيات صالحات.إنها الموجود الذي يسمو على المكان، والذي تتركز فيه جهود الأفراد العابرة والمتقلبة، بعد تطهيرها وتنظيمها، والذي تصبح معه هذه الجهود حياة خالدة وأثرًا باقيًا.

إذا فُهمت الإنسانية على هذا النحو أفتكون هي نفسها الإله الذي ينشده الناس، أي الموجود الحق العظيم الأزلي، الذي يتصلون به اتصالًا مباشرًا، ويستمدون منه الوجود والحركة والحياة. وعن هذه الذخيرة من القوى الخُلُقيَّة المُتجمعة على مر الأجيال في هذا الوجود، تفيض إلى القلوب الأفكار العظيمة والمشاعر النبيلة. فالإنسانية هي الموجود العظيم الذي يسمو بنا عن أنفسنا، ويضيف إلى ما عندنا من تعاطف قدرًا فائضًا من القوى التي يحتاج ذلك الميل إليها لإخضاع ميول الأثرة. وفي الإنسانية يتحاب الناس ويتآخون." (١)

"من خلال هذا التحديد الدقيق لمفهوم لإنسانية نجد أن(كونت) قد انتقل بنا من فكرة الإنسانية في صورتها الميتافيزيقية المجردة إلى الإنسانية ممثلة في مجموعة الأناسي الذين يستحقون التقدير والإعجاب. والإنسانية في هذه الصورة الجديدة أكثر وضعية من صورتها المجردة.(٢)

"وبهذا تتحول الإنسانية إلى رب وإله حقيقي، وعلى جميع البشر أن يتوجهوا إليه بالعبادة وأن يحولوا أذهانهم عن العنايات الأسطورية وأن يكفوا عن طلب المُعجزات من الآلهة الخيالية، وأن يتفكروا دون انقطاع في هذه الإنسانية التي بها يتعلقون وأن يُمجدوها في قلوبهم."(٣)

هذا هو مفهوم الإنسانية لدى الفلسفة الواقعية والتي حولت المخلوق إلى خالق وأعطت الإنسانية مفهوم يخالف كافة التصورات عبر التاريخ. "في الوقت نفسه فإن هذا المفهوم الجديد للإنسانية لم يظهر لدى "أوجست كونت" دفعة واحدة؛ وإنما ظهر في أشكال شتى مُتتابعة. أو بعبارة أدق، نجد أن تطور مذهبه قد كشف النقاب شيئًا فشيئًا عن

---

(١) "العلم والدين في الفلسفة المعاصرة"، إيميل بترو، سابق. ص ٥٠.

(٢) فلسفة أوجست كونت، ليفي بريل. ص ١٣٣.

(٣) مدخل نقدي لدراسة الفلسفة، د. محمد عبد الله الشرقاوي. سابق، ص ١٦٠ بتصرف شديد.

الصفات المُختلفة لذلك "الكائن الأعظم". فقد كان "كونت" في المرحلة الأولى من حياته الفلسفية يفضل النظر إلى الإنسانية على أنها موضوع للعلم. أما في المرحلة الثانية فقد غدت في نظره كما لو كانت موضوعًا للعبادة والحب. ونحن نستطيع أن نتتبع في هذا المجال تطور المشاعر التصوفية والدينية التي أخذت تؤثر – منذ ١٨٤٦ على وجه الخصوص – في آراء (كونت) وتغير من لهجته وذلك على إثر وفاة عشيقته كلوتيد[١] والتي حزن عليها حزنا شديدا بعد وفاتها."[٢]

من خلال ما سبق يتضح لنا أن هذه التسمية (ديانة الإنسانية) لم تنشأ من فراغ، كما أن لها دلالات خطيرة من حيث التسمية وما نتج عنها من مفهوم خاطئ للدين أراد "أوجست كونت" تمريره في غفلة من الزمان.

جـ) الهدف من التسمية:

إذا نظرنا إلى الهدف من تسمية هذا الدَجَل الذي اختار له (أوجست كونت) اسم (ديانة الإنسانية)، فيمكن القول "إن هذا الكاهن أراد اللعب على العواطف والمشاعر الإنسانية حيث إن هذه التسمية تهدف من وجهة نظره إلى إيجاد وحدة جامعة بين الناس جميعًا على اختلاف ديانتهم وتوجهاتهم الفكرية والعملية والربانية. وهذه الوحدة إنما تتحقق بالتخلي عن الديانات التقليدية في عصر العلم الذي حرر الأذهان من الأوهام اللاهوتية وجعلها تشعر بحاجةٍ إلى بديل عنها. وهذا البديل هو (ديانة الإنسانية).

ويزعم أوجست كونت أن أي مجتمع يسعى إلى التقدم والرقي فإن عليه أن ينتمي إلى مثل هذه الديانة العقلية القادرة، التي لا يمكن أن نجدها في الماضي حيث الطوطمية والشرك الوثني والتوحيد. فهذه مذاهب قد ماتت ولا تصلح في عصر العلم لتتوحد حولها قلوب وعقول البشر من جديد."[٣]

وبهذا يتبين لنا أن (ديانة الإنسانية) قد لعبت فيها الكلمات والألفاظ دورًا هامًا في التغطية والتمويه لإخفاء ما يُكِنّهُ مؤسسها من حقد دفين على الدين حتى ولو كان في صورته المشوهة التي قدمتها الكنيسة في هذه المرحلة، والتي لا تعبر بصدق عن رسالة المسيح عليه السلام .

---

(١) حول هذه المرأة وأثرها في حياة (أوجست كونت) راجع بالتفصيل: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة: إيميل بترو، سابق، ص ٦٣

(٢) فلسفة أوجست كونت، ليفي بريل. ص ٣٢٦.

(٣) مدخل نقدي لدراسة الفلسفة. د. محمد عبد الله الشرقاوي، سابق. ص١٥٩ بتصرف.

كما يتضح لنا أيضًا أن هذه الديانة لم تكن فكرة خاملة جاءت لتسد الفراغ الذي خلَّفَته الثورة الفرنسية فحسب، وإنما أراد مؤسسها "أوجست كونت" أن تقود الإنسانية بأسرها لتحقيق ما فشل فيه الدين من أهداف نبيلة للإنسانية على حد زعمه.

د) أهم مؤهلات الاندماج في الإنسانية:

إذا كانت الإنسانية هي مُنتهى آمال الواقعية ورمز قداستها، فإن هذه الإنسانية لا يدخلها إلا الأخيار من البشر الذين قدموا حياتهم خدمة لهذه الإنسانية من أجل تطورها وازدهار العلوم والمعارف فيها، "ومع أن الناس جميعًا يولدون في هذه الأرض ويعيشون على ظهرها وهم أحياء ويدفنون في باطنها وهم أموات إلا أن الكثير منهم لن ولم يكونوا جزءًا من (الإنسانية) أو (الكائن الأعظم). لأنهم لم يقدموا للإنسانية ما يشفع لهم للاندماج فيها لأنهم عاشوا لأهوائهم ورغباتهم الشخصية على حساب الإنسانية ومن هنا يُمكن القول إن هُناك من يدخل في الإنسانية ولا يخرج منها، ومن يخرج منها ولا يدخلها إلى الأبد، وهناك من لم يدخلها من الأساس."[١] "وهذه الشريحة التي لم تقدم شيئًا لخدمة الإنسانية يُعد الموت راحة للإنسانية منها، كما أن الموت لها نهاية لا رجعة فيه. أما الذين يؤدون خدمات جليلة للإنسانية ويعملون لخير المجتمع ومنفعته ويجعلون الغلبة للذكاء على الميول والرغبات ويفضلون حب الغير على حب الذات، فهؤلاء إنما يعيشون للإنسانية وهم دائمًا وأبدًا يعيشون فيها."[٢]

ثانياً: الجذور التاريخية لديانة الإنسانية:

مما لا شك فيه أن الدعوة إلى ديانة الإنسانية التي تبنتها الواقعية لها جذورها العميقة التي تسبق مؤسس الواقعية "أوجست كونت" بفترة طويلة من الزمن "ترجع إلى القرن الرابع عشر حيث دار صراع مرير بين فلسفتين كانتا تتصدران المجتمع الغربي في هذا التاريخ وهما: **الفلسفة المدرسية** التي سعت إلى إقامة فلسفة تتفق مع الدين وتوثق العلاقة بينهما. أما المدرسة الأخرى فهي **الفلسفة الاسمية** التي نمت في فرنسا وغيرها من دول الغرب وسعت بكل قوة إلى الإجهاز على هذه المُحاولة التي قامت بها الفلسفة المدرسية، كما قامت هذا الفلسفة أيضًا بالتعاون مع الأمراء على تمردهم على السلطة البابوية مما أنتج عنه حالة من الشك في كل ما له علاقة بالدين، فضلًا عن الحنين إلى الماضي السحيق لليونان والرومان.

---

(١) "مدخل نقدي لدراسة الفلسفة"، د. محمد عبد الله الشرقاوي. سابق، ص١٤٢ وما بعدها. بتصرف.

(٢) "أجيست كونت"، د. مصطفى الخشاب. سابق، ص ١٤٢.

ومع ظهور الطباعة في منتصف هذا القرن مال كثير من الغربيين إلى هذه الثقافة التي تنضح بالوثنية من كل جانب، فانتشرت الوثنية في الأفكار والأخلاق ورأي فيها فريقٌ كبيرٌ من الغربيين صورة إنسان الفطرة والطبيعة بمعنى الكلمة، فسميت هذه النزعة بـ**(النزعة الإنسانية).**(١) كما سُمِّي المذهب الذي تبناها بالمذهب الإنساني، وسميت الآداب القديمة بالإنسانيات.

هذا وقد ساهمت الكشوف الجغرافية في نهاية هذا القرن لتأصيل هذه النزعة من خلال المعلومات التي تكونت لدى الغربيين عن شعوب أخرى غير مسيحية تعيش على ظهر هذا الكوكب والذي لم يكن يعلم عنها الغرب شيئًا قبل هذه الكشوف. ومن هنا ظهرت فكرة الدين الطبيعي وتكونت لدى الغرب المسيحي نظرية جديدة في الإنسان تقنع بما يُسمى بالطبيعة وتستغني عما فوق الطبيعة. كأنما تقول لله "نشكرك اللهم على نعمتك ولكنا لسنا بحاجة إليها."(٢)

هذا "ومع مجيء عصر النهضة الأوربية برز مصطلح النزعة الإنسانية من خلال العديد من التوجهات الأدبية والفكرية والدينية. من أهمها ما يلي:

أ- النزعة الإنسانية الأدبية:

وهذه النزعة تمحورت حول الإنسان ونشاطه العقلي والجمالي، ولم تكن ترفض الدين وإنما ترفض الرهبنة والتعصب فضلًا عن كونها ترفض التضحية بأي جزء من الماهية الإنسانية للإنسان.

ب- النزعة الإنسانية الدينية:

وتتمحور هذه النزعة حول الجوانب الدينية المُختلفة. وهي ترفض المفاهيم الأساسية للدين مثل لفظ (الله) و(الدين)، كما أن هذه النزعة قد أخذت على عاتقها السير في اتجاه

---

(١) النزعة الإنسانية هي وجهة النظر القائلة بأن الإنسان لا يحيا إلا حياة واحدة، وأن عليه أن يستغلها بقدر استطاعته في العمل الخلاق وتحصيل السعادة، وان السعادة البشرية تبرر نفسها بنفسها، ولا تحتاج إلى ضمان أو دعامة من مصادر عالية على الطبيعة، وأن العالي على الطبيعة، الذي يتضور عادة في شكل آلهة سماوية أو جنات مقيمة، ليس موجودًا على أية حال، وأن البشر يستطيعون باستخدام عقولهم الخاصة والتضافر معا حرية، أن يشيدوا صرحًا من السلام والجمال على هذه الأرض. ("الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، هنتر ميد. سابق. ص ٤٠٢).

وقيل إن النزعة الإنسانية أشبه بعباءة تحتها كل من كانت له نظرة إلى العالم لاهي لاهوتية ولا هي عقلانية. ("الفلسفة الحديثة عرض ونقد"، سابق، ص ٤٢ بتصرف.)

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم. سابق. ص ٥ وما بعدها بتصرف.

مضاد للألوهية. وباختصار، هذه النزعة كانت تُحاول أن تُشيِّد دينًا يظل الجزء الأكبر من مضمونه بعيدًا عن الدين التقليدي، كما أن هذه النزعة أيضًا كانت تؤمن بالله وهي تعني بذلك مجموع كل الأماني الاجتماعية والقوة الفكرية للجنس البشري، وهي تؤمن أيضًا بالخلود ولكن بمعنى حفظ المجتمع للدور الذي أسهم به كل فرد في المُجتمع الإنساني.

جـ - النزعة الإنسانية الطبيعية:

وهذه النزعة ترفض كل أشكال العلو على الطبيعة، كما ترفض كل ما له علاقة بالخلود وترى أن هذه الحياة هي كل شيء وهي كافية."[١]

هذا ولم تقف الدعوة إلى النزعة الإنسانية عند حدود المُجتمع الغربي فحسب وإنما تبنتها مجلة "**المُقتطف**"[٢] وعملت على نشرها والترويج لها في بعض المُجتمعات الإسلامية تحت شعار المحبة والإخاء الإنساني والجامعة الإنسانية التي ينبغي أن تكون بديلًا عن الأديان والأوطان. وفي هذا يقول (يعقوب صروف)[٣] محرر هذه المجلة:

"أليس في وسع المرء أن يعيش في العالم دون أن تطبع روحه بطابع الملة وتصبغ بصبغة الطائفة ألا يقدر أن يكتسب ثقة إخوانه البشر دون أن يعلن تشيعه ويفاخر بتعصبه ويكابر بغيرته الدينية مثلًا أو السياسية. ألا يقدر أن يحب فئة من الناس دون أن يبغض سواها؛ ألا يقدر أن يكون شريف الروح نزيهها، عفيف النفس أبيًا دون أن يحفر على صفحات قلبه أو جبينه بأحرف كبيرة: "أنا يهودي"؛ "أنا مسلم"؛ "أنا مسيحي".

أليس في وسعه أن يكون سعيدًا محبًا لامرأته وأولاده وأهله وبني جنسه دون أن يعلق في ذيل ردائه أجراس الشيعة وجلاجل الملة. أليس له أن يحب ربه دون أن يبغض أخاه في الإنسانية؛ ألا يستطيع أن يرفأ ثوبه دون أن يمزق ثوب جاره. أليس في إمكانه أن يصلى دون أن يسب ويلعن ويتمنى لمن لا يصلى مثله الاصطلاء بنار أبدية. هل تقوم محبه الله بغير محبة الإنسان. هل يستحق أن يكون في ظل الأبوة الإلهية من لا يساعد على تعزيز الإخاء البشرى في الأرض."[٤]

---

(١) كتاب "الفلسفة – أنواعها ومُشكلاتها"، هنتر ميد، سابق. ص٣٩٥ وما بعدها بتصرف شديد.

(٢) مجلة ثقافية أنشأها (يعقوب صروف) بالتعاون مع (فرس نمر)، وقد صدرت في الفترة من ١٨٧٦م إلى ١٩٥٢م، راجع كتاب:"الدين والعلم في الفكر العربي الحديث" د. عزمي زكريا ، ط. المكتبة المصرية القاهرة، ٢٠٠٤م ، ص ٩٠ وما بعدها.

(٣) مفكر عربي، ولد في لبنان سنة ١٨٥٢م، وتوفي سنة ١٩٢٧م. :"الدين والعلم في الفكر العربي الحديث" د. عزمي زكريا ، سابق ، ص ١٠٤ .

(٤) تقريظ بقلم يعقوب صروف، مجلة المُقتطف، أغسطس، ١٩٢٤، مجلد ٦٥، جزء ٣، ص ٤٢ بتصرف شديد.

من هنا يتضح لنا أن المذهب الإنساني قد أخذ في النمو والانتشار على حساب الدين في المجتمع الغربي، كما أنه وجد من يروج له في العالم الإسلامي من أمثال (يعقوب صروف) وغيره في مجله "المقتطف." هذا من جانب ومن جانب آخر فإن المتأمل فيما تضمنه هذا المذهب من مقررات، فإنه سوف يجد أن هذا المذهب قد أخذ على عاقته إبعاد الدين عن الحياة في المجتمع الغربي والشرقي على السواء.

كما يتبين لنا أيضًا من خلال تتبع هذا المذهب وجذوره التاريخية في المجتمع الغربي، أن هذا المذهب "كان له أثر كبير على الدين والفلسفة، حيث عمل على سلخ الفلسفة عن الدين، أو بعبارة أدق، العمل على إقامة الفلسفة خصيمًا للدين. كما تسرب المذهب الإنساني إلى المسيحية نفسها وأخذ يعمل على تقويضها من الداخل ومع تطور العلوم والمعارف في القرن السادس عشر، أنحلت الروابط الدينية والاجتماعية وحلت الفوضى في المجتمع، ثم أخذت العلوم في التوسع والانتشار فازداد سُلطان الإنسان على الأرض واتسعت السماء أمام نظره بفضل اختراع التلسكوب، فأحس من الكبرياء والطموح ما لم يحسه من قبل، وألقى هذا الإحساس في نفسه بما أوحى به المذهب الإنساني في الأدب والدين، وبما نفخ فيه النضال السياسي من إحساس قوي بالاستقلال، فشعر كأنه رب نفسه وليس فوقه رب."(١)

ومن هنا يتبين لنا أن الدعوة إلى إخراج الدين من الحياة قد بدأت مُبكرًا في المُجتمع الغربي، كما أن مُحاولة إبراز الإنسان على أنه قائد نفسه بنفسه دون مَعِية إلهية قد بدأ يأخذ شكلًا واقعيًا ملموسًا قبل ظهور الواقعية ودعوتها لديانة الإنسانية بأمدٍ بعيدٍ.

هذا، [وقد أخذت النزعة الإنسانية تتسع في المجتمع الغربي خاصةً على يد

حول الترويج للمذهب الإنساني من خلال مجلة المقتطف، راجع الأعداد التالية:

ج ٦٥-٣٢٩ – أغسطس ١٩٠٤م.

ج ٣١-٩٢١ – نوفمبر ١٩٠٦م.

ج ٣٥-٨٢٩ – سبتمبر ١٩٠٩م.

ج ٩-٣٦٦ – إبريل ١٩٠٤م.

ج ٥٦-١٥٢ – ١٨٨٠م.

ج ١٤-٢٩١ – فبراير ١٨٨٠م.

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم. ص٦ وما بعدها بتصرف. سابق.

"هيجل"[1] الذي وإن كان لم يُشارك في صنع دين الإنسانية، إلا أنه وضع أسسه. فلقد سعى للتغلب على الثنائية، ومن ثم فإنه قد أخضع الله لتيار الزمان، وبذلك خلط العقل الإلهي بالعقل الإنساني. فالله بعد أن جرده "هيجل" من شخصيته كمطلق أو روح كامنة، فإنه ارتقى أو أصبح على وعي بذاته أو بالحقيقة في جملتها. ويتحقق ذلك خطوة بخطوة في التاريخ واعتمادًا على الفكر الإنساني. واعتقد هيجل أن التأليهية التقليدية قد نمت كاستجابة لتجريد الإنسان وحياته الاجتماعية من قيمتها في العالم القديم.

ولكن الآن بعد أن تجاوز الإنسان شقاء أحوال العالم القديم، فقد غدا قادرًا على أن يرى نفسه كما هو في الحقيقة أي كوجه من وجوه المُطلق، وبذلك يُمكن التغلب على التباين الحاد بين الله والإنسان.

في الوقت نفسه فقد أخذ أتباع (هيجل) الخطوة التي أحجم هو نفسه عن اتخاذها، فلقد حولوا (الله) إلى إنسان كما كان (كونت) يفعل في فرنسا. وهكذا فلقد خلق "الهيجليون" دينًا إنسانيًا جديدًا.][2] غير أن هذا الأمر لم يقف عند هذا الحد، وإنما أخذت مُبررات هذه النزعة الإنسانية تتسع بصورة أكثر شراسة من خلال "الدعوة إلى تأليه الطبيعة أو عبادة الطبيعة.

وليست هذه العبارات مجازًا، بل مُستعملة على الحقيقة تمامًا. فكل صفات الله التي عرفها الناس عن المسيحية نقلها فلاسفة الطبيعة إلى إلههم الجديد، مع فارق كبير بين الإلهين في نظرهم.

فإله الكنيسة بطّاش حقود يعذب السلالة البشرية ويقتل ابنه لأن الإنسان الأول أكل فاكهة من حديقته. وهو إله مُتعنت، يضع القيود الاعتباطية على حرية الإنسان ويقيده بالالتزامات ويفرض عليه الرهبانية والخضوع المُذل لممثليه على الأرض.

أما الطبيعة فإله "جذاب" رحب الصدر، ليس له كَنيسٌ ولا التزامات ولا يستدعي طقوسًا ولا صلوات في وضوحٍ وصراحة. والإله الجديد ليس له رجال دين يستعبدون الناس لأنفسهم ولا كتاب مُقدس مُتناقض ولا أسرارٌ عليا مُقدسة؛ بل له دعاة من أمثال (فولتير وديدرو) وله كتب علمية هي "دائرة المعارف" أو "العقد الاجتماعي" أو "روح القوانين".

---

(١) هيجل: فيلسوف ألماني مشهور، ولد سنة ١٧٧٠م، وتوفي سنة ١٨٣١م. راجع: "فلسفة الدين في الفكر الغربي"، د.إحسان علي الحيدري، سابق. ص٣٨) كذلك راجع كتاب: "تاريخ الفلسفة الحديثة": يوسف كرم، سابق، ص ٢٧٤ وما بعدها.

(٢) الفكر الأوروبي الحديث فرانكلين، ل. باومر، سابق. ص ٦٦ وما بعدها بتصرف.

كما أن القانون الطبيعي "الجاذبية" يجعل الكون مترابطًا مُتناسقًا لا اضطراب فيه ولا خلل وبالمقابل جعلت الطبيعة للإنسان قانونًا طبيعيًا يكفل له السعادة التامة ولكن النظم الإنسانية والأديان طمست هذا القانون فشقى الإنسان وتعذب.

تلك هي المبادئ الأولى للمذهب الطبيعي الذي تبلور ليصبح دينًا إنسانيًا عند (أوجست كونت) في القرن التاسع عشر".[١]

ومما يلفت النظر في هذا المقام أن ما بدا خافتًا من الأفكار الداعية والداعمة لإبعاد الدين عن الحياة وإحلال ديانة وضعية محله قد ظهر جليًا على يد فليسوف فرنسي مرموق، ذاع صيته واتسعت شهرته وهو (سان سيمون) الذي يُعد المؤسس الحقيقي لديانة الإنسانية قبل تلميذه (أوجست كونت) الذي نُسبت إليه هذه الديانة.

كما يعدّ من أهم المرتكزات التي استندت إليها الدعوة لديانة الإنسانية، وهذا ما نشير إليه فيما يلي:

ثالثاً: أهم المُرتكزات التي استندت إليها الواقعية في دعوتها لديانة الإنسانية:

لم تنطلق الواقعية في دعوتها لديانة الإنسانية من فراغ، وإنما استندت إلى الكثير من المُرتكزات التي رأت أنها كفيلة بتبني الدعوة لهذه الديانة الجديدة والعمل على نشرها بين الناس. ومن أهم هذه المُرتكزات ما يلي:

١ ـ الثورة الفرنسية وأثرها في الدعوة لديانة الإنسانية:

قبل الحديث عن الثورة الفرنسية كمرتكز أساسي من مُرتكزات الدعوة لديانة الإنسانية، أود التأكيد على "أنّ الشعب الفرنسي قبل الثورة عاش تدهورًا حادًا في كلفة المرافق الخدمية؛ حيث ازدادت الضرائب وانتشر الفساد بين طبقات الشعب خاصة رجال الدين، مما حتم على الشعب القيام بثورة لرفع الظلم الذي حل به، فكانت الثورة الفرنسية التي أزاحت الكنيسة عن الحياة وفصلت بينها وبين الدين من جانب وبين الدين والعلم من جانب آخر.

وقد كانت تلك الثورة سببًا في ظهور العلمانية، تلك التي فصلت بين الدين والدولة في هذا الوقت المُوغِر من التاريخ وتمخضت الثورة الفرنسية عن نتائج في غاية الخطورة. فلأول مرة تقوم في تاريخ أوروبا جمهورية دينية تحكم باسم الشعب وليس باسم الدين، وعلى حرية التدين

---

(١) "العلمانية نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة الإسلامية المعاصرة"، د. سفر الحوالي. الطبعة الثاني، ١٩٩٩م ، ص ١٥٩ وما بعدها بتصرف شديد.

بدلًا من الكثلكة. ولأول مرة أيضًا يُوضع دستور مدني خارج مُقررات الكنيسة."[١] بل إنَّ الأمر لم يقف عند هذا الحد، وإنما أخذ رجال الفكر في فرنسا يتطلعون إلى بناء مجتمع بفكرٍ جديدٍ بعيدًا عن الدين ورجاله في هذا المجتمع الجديد.

ومن هُنا يمكن القول: "إن الثورة الفرنسية كانت سندًا حقيقيًا استندت إليه الواقعية في الدعوة إلى ديانة الإنسانية وهذا ما أشار إليه (أوجست كونت) بعبارات صريحة، حيث قال: "لولاها لما أمكن أن توجد نظرية التقدم، ولما أمكن تبعًا لذلك، أن يوجد العلم الاجتماعي، ولما أمكن بالتالي أن توجد الفلسفة الوضعية. وفيما عدا ذلك فهل هناك من مفر من أن يكون لهذه الهزة الاجتماعية الخارقة للعادة رد فعل يفضي إلى حركة واسعة مستمرة في التفكير النظري الفلسفي والسياسي؟"[٢]

كما عبر عنها (ليفي بريل) قائلاً: "لقد كانت عاصفة الثورة هائلة وكانت ضجتها تصم الآذان، وكان الاضطراب الاجتماعي عنيفًا جدًا لدرجة أن أحدًا لم يقدر نتائجه تقديرًا صحيحًا. فقد بدا أن نظمًا كثيرة قد انهارت مع أنها قد اهتزت فقط؛ بل لقد اجتاز جانب كبير من النظام القديم الأزمة دون خسارة كُبرى. وهكذا قدر له البقاء، ولكن الجيل الذي شب في أول القرن التاسع عشر لم يستطع أن يدرك هذه الظاهرة التي وقف عليها الناس بوضوح في سنة ١٨٣٠م، واعتقد ذلك الجيل اعتقادًا لا يشوبه الهوى أن النظام القديم قد أنهار بأسره، وأنه يجب عليه أن يعيد بناءه أو أن يضع أسس المجتمع نفسها. وقد ظل أمينًا من هذه الناحية على روح الثورة؛ لأنه كان بعد هذه الأخيرة مشغولاً بوضع نظام سياسي واجتماعي جديد من كل وجه (وقد وافقه العالم المتحضر أيضًا على هذه الفكرة).

وهكذا وجب على التفكير الفلسفي النظري في مطلع القرن التاسع عشر أن يتجه أولًا صوب المشاكل الدينية والاجتماعية. ومما لا شك فيه أن الناس قد أخذوا يشعرون في نفس الوقت بتأثير التقدم المستمر للعلوم الوضعية. وقد يكون من العسير على من يدرس المذهب الفلسفي لدى (أوجست كونت) أن يتجاهل هذا التأثير ولكنا نجد حتى لدى (أوجست كونت) نفسه اهتمامه الشديد بالعلم وتعلقه به كان يأتي في المقام الثاني بعد اهتمامه بالأمور الاجتماعية. فالخدمة التي ينتظرها (كونت) من الفلسفة هي أن تضع قواعد المجتمع الحديث بناءً على أساس عقلي. وهكذا يريد (كونت) أن يهتدي إلى العثور على عناصر ديانة تحل

---

(١) راجع بالتفصيل كتاب "العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة"، د. سفر الحوالي. سابق، ص١٦٥. كذلك راجع كتاب "اعترافات علماء الاجتماع"، أحمد خضر، ط مجلة البيان، الأولى، ١٩٩٣، ص ٤٤.

(٢) "فلسفة أوجست كونت"، ليفي بريل. ص ٢ وما بعدها بتصرف.

محل المذهب الكاثوليكي الذي قضى بأن مهمته قد انتهت."[1]

وفي التأكيد على هذا، يقول (كونت): "منذ الثورة والمجتمع الفرنسي في حالة النزع والاحتضار، فهو فريسة فوضى عميقة متزايدة الاتساع.إن وضعًا كهذا من شأنه أن يكون وخيم العاقبة، لذلك فلابد من إنهاء (المرحلة الثورية)" .

ويقول أيضًا: "تصبو النفوس المختارة إلى الخلاص من حالة تنشر الانحطاط والشلل، فلابد من إعادة النظام مع عدم إعاقة ركب التقدم. والوسيلة الوحيدة هي أن نعيد توحيد المعتقد لدى الناس. وأن نبث فيهم إيمانًا ينظم الحياة باسم المستقبل المُستنتج من الماضي."

وقد تصور (كونت) نفسه رسولاً هاديًا لم يجئ للفرنسيين بفلسفةٍ فقط، بل جاءهم بدين "كامل متكامل" فيه الخلاص التام من كل ما يعانون منه، ثم أخذته نشوة أو لوثة، فتصور أن هذا الهواء الفارغ الذي أذاعه لا يحل مشكلة فرنسا فحسب، بل يحل مشاكل البشر أجمعين، وعلى الوضعين أن ينشروا هدايتهم بين أمم الشرق في همة وتفانٍ للارتقاء بمستواهم من ناحية ولتوحيد البشرية على دينه الوضعي الجديد. [2]

ومن هُنا يمكن القول: إن الثورة الفرنسية قد ساهمت بشكل كبير في إخراج ديانة الإنسانية إلى حيز الوجود عبر الفلسفة الوضعية الواقعية التي أنشأها (أوجست كونت) بعد قيام الثورة.

٢ ـ أفكار (سان سيمون) وأثرها في الدعوة إلى ديانة الإنسانية:

كذلك من أهم العوامل والمُرتكزات التي ساهمت في الدعوة لديانة الإنسانية قيام (أوجست كونت) بتطوير أفكار أستاذه (سان سيمون) والذي يُعد المُؤسس الحقيقي لديانة الإنسانية وإن لم يطلق عليها هذا الاسم، غير أن (أوجست كونت) تلقف هذه الفكرة وأخرجها تحت اسم (ديانة الإنسانية). وأرى من الأهمية بمكان أن نُشير في هذا المقام إلى علاقة (كونت) بأستاذه (سان سيمون) وكيف نقل عنه هذه الفكرة الشيطانية التي كان لها أثر كبير بعد وفاة الأستاذ والتلميذ على السواء، وهذا ما نرصده فيما يلي:

أ ـ علاقة (أوجست كونت) بـ (سان سيمون):

[ترجع علاقة (أوجست كونت) بأستاذه (سان سيمون) إلى سنة ١٨١٨م حيث التقى (كونت) بـ (سان سيمون) فملك عليه مشاعره وألقى إليه (كونت) بزمامه دون تحفظ على وجه التقريب، وأخذ يعمل تحت لواء (سان سيمون) مدة أربع سنوات. وكان يحبه

---

(١) "فلسفة أوجست كونت"، ليفي بريل. ص ٣.

(٢) "مدخل نقدي لدراسة الفلسفة"، د. محمد عبد الله الشرقاوي. سابق، ص ١٥٢ وما بعدها بتصرف شديد.

ويبجله كأستاذٍ له، ويتغذى بآرائه ويساعده في بحوثه ومشروعاته. ولقد سمى نفسه "تلميذ مسيو سان سيمون".

ومع هذا فقد انفصل (كونت) ابتداءً من سنة ١٨٢٢ عن هذا الأستاذ الذي أُعجب به إعجابًا شديدًا. وفي سنة ١٨٢٤ أصبحت القطيعة تامة ونهائية.](١)

"وقد نشأ هذا الخلاف وحدثت تلك القطيعة بينهما بسبب اختلاف (أوجست كونت) مع أستاذه (سان سيمون) في كيفية إصلاح المجتمع الفرنسي بعد الثورة. حيث كان (سان سيمون) يرى أن عملية بناء المُجتمع الفرنسي تبدأ بالإصلاح الاجتماعي، بينما كان "أوجست كونت" يرى أهمية الإصلاح العلمي وذلك بإعادة وحدة الاعتقاد إلى العقول كما كان الحال في العصر الوسيط ولكن بواسطة العلم لا بواسطة الدين."(٢)

هذا "وقد سار (أوجست كونت) في طريقه غير عابه بآراء أستاذه وذلك لاقتناعه بفكرتين أساسيتين في هذا الموضوع. الأولى: أن الآراء والعقائد التي تمس العالم والمجتمع والإنسان في حالة فوضى. والثانية: أن الحالة الطبيعية والعادية هي تنظيم هذه الآراء تنظيمًا عقليًا. ويرى (كونت) أن القضاء على هذه الفوضى والقضاء على التناقض في أساليب التفكير يكون في ثلاث حلول محتملة يمكن تصورها فيما يلي:

١- أن نوفق بين التفكير الوضعي والتفكير الميتافيزيقي، بحيث يوجدان معًا بدون تناقض.

٢- أن نجعل من المنهج الميتافيزيقي منهجًا عامًا شاملً، تخضع له جميع العقول والعلوم ونصرف النظر عمَّا وصل إليه التفكير الوضعي من حقائق علمية.

٣- أن نُعمم المنهج الوضعي فنجعل منه منهجًا كليًا عامًا يشمل جميع ظواهر الكون وبذلك نحقق مبدأ "وحدة المعرفة الوضعية".(٣)

هذه ملامح العلاقة بين (أوجوست كونت) و(سان سيمون)، والتي انتهت بهذا الشكل المفاجئ الذي لم يكن في الحسبان.

ونظرًا لأهمية (سان سيمون) في التمهيد لديانة الإنسانية فسوف نُشير إلى أهم ملامح رؤيته لهذه الديانة الجديدة والتي طورها فيما بعد (أوجست كونت) وصنع منها ديانة

---

(١) "فلسفة أوجست كونت"، ليفي بريل. ص ٧.

(٢) "المذهب الواقعي"، البهنسي رزق البهنسي. ص١١ بتصرف. كذلك راجع كتاب "الفكر الأوروبي الحديث"، فرانكلين بومر. سابق، ص ٥٢. وكذلك كتاب "نوابغ الفكر الغربي"، د. طلعت عيسى، ص ٧٥ وما بعدها. وكتاب "تاريخ علم الاجتماع"، د. محمد علي محمد، ص ٨٣.

(٣) "الفلسفة الحديثة – عرض ونقد"، سابق، ص ٤٨٩ وما بعدها بتصرف شديد.

الإنسانية.

ب) ملامح ديانة الإنسانية لدى (سان سيمون):

عندما نتحدث عن رؤية (سان سيمون) لديانة الإنسانية الجديدة، ينبغي علينا أن نُشير إلى "مقولته الشهيرة التي يُشاع أنه قالها على فراش الموت: من المُستحيل أن يختفي الدين من الدُنيا، وكل ما هُنالك إمكانية تحوله من صورة إلى أخرى".[١] "فهذه العبارة تعكس رؤيته للدين الذي يتصوره بديلًا للمسيحية التي وإن أقر بوجودها؛ إلا أنه ذهب إلى إمكان تحويل مسارها من ديانة إلهية إلى ديانة وضعية تتأقلم مع المجتمع الجديد بعد الثورة وتُعبر عن خصائصه وطموحاته – ديانة تُلائم تطور الإنسانية وتهدف إلى وحدتها والحب والله. فالإنسانية تعيش في نفس الوقت حياة زمنية موقوتة وحياة خالدة أبدية، والأساس الذي يربطها بالكائن الأعلى هو الحُب. ولا يُمكن أن ترتبط به بطريقة أخرى ما دام أن فكرة الإنسان عن الله ليست سوى حالة من الاعتقاد بالوحدة والنظام والتناسق. فديانة المُستقبل يجب –في نظر سان سيمون ومدرسته– أن تكون تبصيرًا عن التفكير الجمعي للإنسانية ومظهرًا لجميع مُعتقداتها ونظامًا لكافة تصرفاتها." [٢]

هذا، و"ينظر (سان سيمون) إلى الدين على أنه ظاهرة اجتماعية، شأنه في ذلك شأن كافة الظواهر الاجتماعية الأخرى. فلابد أن يتفق مع طبيعة المُجتمع وظروف الحياة فيه. وما دام أن المُجتمع المُعاصر يعيش في ظل العلوم الوضعية، فإن الدين يجب أن يكون بمنأى عن كل نزعة روحية أو سماوية، وبعيدًا عن كل إرهاب أو شعور بالخطيئة."[٣]

"ومن أجل أن يُحقق (سان سيمون) حلمه في هذه الديانة الجديدة، فقد قدم رؤيته للنهوض بالإنسانية بعيدًا عن الدين. وفي هذا الشأن اقترح تكوين جمعية من ٢١ عضوًا تنتخبهم الإنسانية على أن تتخذ الجمعية اسم (مجلس نيوتن) لتمثيل الإرادة الإلهية في هذا الكون. ويتصور (سان سيمون) أن الله يحدثه ويوحي إليه بقيام ديانة جديدة، إلا وهي ديانة (نيوتن).

وفي هذا الشأن يقول في إحدى تأملاته: "إن مجلس نيوتن سوف يُمثلني على الأرض، فيقسم الإنسانية إلى أربعة أقسام يُطلق عليها: إنجليزية وفرنسية وألمانية وإيطالية.

(١) "تاريخ الفكر الأوروبي الحديث"، فرانكلين.أ، ل. باومر. سابق، ص ٦٣.
(٢) "نوابغ الفكر الغربي"، د. طلعت عيسى. ط دار المعارف، مصر. الثانية بدون التاريخ. ص٧٥.
(٣) "نوابغ الفكر الغربي"، د. طلعت عيسى. سابق، ص ٧٣.

وسوف يكون لكل قسم من هذه الأقسام مجلسًا يتكون على غرار المجلس الرئيس. وسوف يرتبط كل فرد في العالم مهما كان موطنه بأحد هذه الأقسام وبالمجلس الرئيس وبمجلس القسم الذي يتبعه. وينتخب النساء في هذه المجالس على قدم المساواة مع الرجال"[١]

هذه بعض ملامح رؤية (سان سيمون) وتصوراته عن الدين الجديد الذي بَشَّر به ليحل محل الدين الإلهي في المُجتمع الغربي عامة والمجتمع الفرنسي على وجه الخصوص.

ولم يقف (أوجست كونت) عند تأثره بأفكار أستاذه (سان سيمون) وحده، "وإنما اتصل بأفكار الفيلسوف **(هيوم)**[٢] في كثير من القضايا الفكرية التي ساهمت في التكوين الفكري لـ (أوجست كونت)[٣]

وبهذا يتبين لنا مدى تأثر (أوجست كونت) بأفكار مَن عاصروه أو سبقوه في صياغة تكوينه الفكري والثقافي الذي أنتج فيما بعد ما سماه (كونت) بـ (ديانة الإنسانية).

٣ ـ الرغبة في تحقيق الوحدة العالمية وأثر ذلك في الدعوة لديانة الإنسانية:

كذلك من أهم المرتكزات التي انطلق من خلالها "أوجست كونت" كمسوغ لدعوته لـ (ديانة الإنسانية): "زعمه بقدرة (ديانة الإنسانية) على تحقيق الوحدة الإنسانية التي دمرتها الحروب. وفي هذا الشأن تُوصي ديانة الإنسانية بأن يفهم الإنسان مركزه في العالم وفي الإنسانية؛ وبأن ينتصر للعاطفة على العقل حتى تتلاشى الفردية ويحل مبدأ (عِش للغير) محل الأنانية والذاتية الشخصية.

ويأمل "كونت" أنه في ظل مذهبه الديني الجديد أن تُحقق الإنسانية وحدتها وكمالها وسموها. ويأمل أيضًا أن سبع سنوات كافية لنشر هذا الدين الجديد بين الأمم التي تدين بالتوحيد و(وحدة الإله)؛ وأن ثلاث عشرة سنة كافية لتجعل الأمم الوثنية تؤمن بهذا الدين وتعتنقه؛ ويرى أيضًا أن هذه المُدة كافية كذلك لاعتناق الأمم التي تؤمن بتعدد الآلهة والأرواح. وبذلك قبل أن ينتهي القرن التاسع عشر نجد أن الأجناس البشرية الثلاث؛ الجنس الأبيض والأصفر والأسود التي تُمثل في الإنسانية الذكاء والعمل والعواطف، قد حققت وحدة الإنسانية وتَوَّجَت عصرًا ذهبيًا

---

(١) "توابغ الفكر الغربي"، د. طلعت عيسى. سابق، ص ٧٠ بتصرف.

(٢) فليسوف إنجليزي عُني كثيرًا بمشكلة المعرفة وتعلف بدراسات ديكارت ولوك. ولد سنة ١٧١١ وتُوفي سنة ١٧٧٦. راجع كتاب "الرومانتيكية والواقعية"، يانكولامرين، ترجمة: حلمي راغب. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥. ص١٧.

(٣) حول تأثر (أوجست كونت) بالفيلسوف الإنجليزي (هيوم)، راجع بالتفصيل كتاب "فلسفة الدين عند ولتر سيتس"، د. إبراهيم طلبة. ط دار المصطفى للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٣. ص ٢٢ وما بعدها. كذلك راجع: "تاريخ علم الاجتماع"، د. محمد علي محمد، ص ٨٤ وما بعدها.

لدين كلي حقيقي، هو دين الإنسانية."[١]

والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المجال، هل تحقق ما تمناه (أوجست كونت)؟! والإجابة أنّ هذا لم يتحقق بالطبع. ولو عاش ليرى ما شهدته أوروبا في الحرب العالمية الأولى والثانية؛ لأدرك كم كان يعيش في وهمٍ وخيالٍ لا حقيقة له على أرض الواقع.

من خلال ما سبق يتبين لنا: أن (ديانة الإنسانية) قد ارتكزت على العديد من الأسس التي رأت فيها مسوغًا لقيامها وهي أسس خالية من كل حق أو حقيقة، ولا يمكن أن تُقدَّم لتكون مسوغًا لديانة بشرية تحل محل الدين الإلهي حتى ولو شوهته الكنيسة ورجالها. ولو أن مؤسس هذه الديانة المزعومة مد بصره تجاه الإسلام، لرأى فيه ما يشفي غليله ويرده إلى عقله بما يحمله الإسلام من حق ليس بعده إلا الضلال. ولكنه للأسف حكم على الدين من خلال ما قدمته الكنيسة من خرافات هي أبعد ما تكون عن رسالة المسيح عليه السلام.

هذا، ولم يجعل (أوجست كونت) ديانة الإنسانية فكرة مجردة، وإنما وضع لها من الطقوس والعبادات ما يضمن تسويقها والتفاف الناس حولها في المجتمع الفرنسي، وهذا ما نشير إليه فيما يلي:

رابعاً: أهم طقوس وعبادات ديانة الإنسانية:

مدخــل:

ربما يتخيل البعض أن (ديانة الإنسانية) فكرة مُجردة لا واقعية لها في الحياة، وهي بالتالي لا تَعدُ أن تكون فكرة هُلامية صنعها (أوجست كونت) من وحي الخيال. ولكن الناظر في هذه الديانة يجد أن مؤسسها أراد لها أن تكون ديانة واقعية، تحل محل الدين التقليدي (المسيحية) الذي كانت تدعو إليه الكنيسة الكاثوليكية في هذه البلاد.

ومن هُنا فقد صنع (كونت) لهذه الديانة طقوسًا وعبادات يلتف حولها الأتباع ويجدون فيها ما يغذي طموحهم ويقوي الصلة بينهم، لعلهم يجدوا فيها البديل عن ديانة الكنيسة التي فقدت بريقها بعد الثورة الفرنسية وأصبحت أثرًا بعد عين. ومن هذا المُنطلق كان من الضروري أن نُشير إلى أهم طقوس وعبادات هذه الديانة حتى نقف على حقيقتها دون لبسٍ أو خفاء. كما أنه لابد عند الحديث عن العبادة في (ديانة الإنسانية) أن نؤكد على "أنّ العبادة في هذه الديانة ليست بالمعنى المفهوم في الديانات الإلهية الأخرى، ولكنها في عرف (كونت) محاولة للوصول بهذا الكائن الأكبر (الإنسانية) إلى درجة (الكمال المُطلق). وعلى هذا النحو ليست الصلاة إذًا

---

(١) "أجيست كونت"، د. مصطفى الخشاب. سابق، ص ١٤١ وما بعدها بتصرف شديد.

التماسًا كما هو الحال في الديانات ولكنها مجرد تأمل في المثل الأعلى للإنسانية والحياة الاجتماعية."[١]

هذا وتأخذ العبادة في (ديانة الإنسانية) ثلاثة مظاهر، يمكن إجمالها فيما يلي:

١ ـ الطقوس والعبادات الفردية:

تُعد العبادة الفردية من أبرز أنواع العبادة في (ديانة الإنسانية) "وهي تتبلور في اتخاذ الأشخاص الأعزاء على الفرد كنماذج للمثل الأعلى في توجيه جميع أفكار الفرد وأفعاله إلى صيانة الموجود الأعظم وهو الإنسانية وإبلاغه حد الكمال باعتبار أن كرامة الفرد تتحقق في كونه جزءًا من هذا الموجود الأعظم. وهكذا تنطوي الغيرية على الواجب الأعظم وعلى السعادة العظمى جميعًا."[٢]

في الوقت نفسه "فإن العبادة الفردية في ديانة الإنسانية تتحور حول المرأة التي جعلها "أوجست كونت" رمزًا للمحبة والعطاء. وقد صار "كونت" في هذا الأمر قياسًا على الكاثوليكية التي جاءت بفكرة الملاك الحارس المُحافظ على الشخص والمنزل؛ ولأن الملائكة – في زعمه – كائنات وهمية، فإنه اقترح أن تسد المرأة هذا المكان، فهن ملائكة ذات وجود حقيقي؛ فلير الرجل في المرأة ملاكه الحارس. وليصلِّ لها ثلاث صلوات يوميًا في الصباح والظهر والمساء؛ ولتكن صلاته لها شفاهية، لأن الكلمات المنطوقة تضاعف المفعول، ولتكن صلاة شعرية لأن الشعر يأخذ بمجامع القلوب."[٣]

هذه بعض ملامح العبادة الفردية والتي تحولت فيها المرأة إلى إله يُعبد من دون الله، كما هو الشأن في الديانة اليونانية القديمة.

٢. الطقوس والعبادات الأسرية:

المظهر الثاني من مظاهر العبادة في (ديانة الإنسانية) هي "العبادة الأسرية والتي تقوم بها الأسرة تجاه الإنسانية حتى يتحقق لها الاندماج في (الكائن الأعظم). وهنا يلزم الأسرة أن تُربي أطفالها على تحقيق هذه العبادة من خلال المراحل المتعددة للأبناء حتى يتمكنوا من الاندماج في الكائن الأعظم، وعند وصول الأبناء إلى مرحلة الزواج عليهم أن يدركوا أن الزواج نظامٌ مقدس؛ لأنه يرتفع به من مجرد الإرضاء الغريزي الحسي إلى مرتبة التقديس والطهارة. وإذا وصل الفرد إلى سن الثالثة والستين فإنه يتصَوْمَع ويعكف في

---

(١) "أجيست كونت"، د. مصطفى الخشاب. سابق، ص ٣٨.

(٢) "الفلسفة الحديثة – عرض ونقد"، سابق. ص ٤٠.

(٣) "مدخل نقدي لدراسة الفلسفة"، د. محمد عبد الله الشرقاوي. ص ١٦٠. سابق.

خلوته على التأمل في الذات الإنسانية السامية، والوقوف على حقيقتها. ثم بعد ذلك ينتظر الموت، وبعد موته بسبعة سنوات تَحُل روحه بالكائن الأكبر ويشهد (الإنسانية) في ذاتها."[1]

ولا شك أن هذا التصور المريض لا يخرج إلا من رجلٍ دجال وليس فليسوف.

٣ ـ الطقوس والعبادات العامة:

لم تقتصر ديانة الإنسانية فيما شرعته من عبادة على الجانب الفردي أو الأسري، وإنما أضافت نوعًا جديدًا من العبادة، هي [العبادة العامة التي يقوم بها جميع الأفراد متأملين في الكائن الأعظم. وتقام هذه الطقوس في معبد "الإنسانية" وتقام خصيصًا في وسط غابة مقدسة وتمثل فيه الإنسانية امرأة جميلة في سن الثلاثين، تحمل بين ذراعيها طفلًا، ويقام بجانب هذا المعبد معبدًا آخر يُخصص لذكرى الرجال المشهورين والنساء الشهيرات.[2]

هذه ملامح بعض العبادات التي سوَّق بها (أوجست كونت) ديانة الإنسانية التي اخترعها من خياله المريض وأراد أن تحل محل الدين، بل إنه لم يقف عند هذا الحد وإنما [جعل لهذه الديانة بابوية عامة، مقرها (باريس) وبابا عامًا للإنسانية كلها، وشعارات طنانة مثل: "نظام وتقدم"، "العيش في سبيل الآخرين"؛ بل أنه يقترح حركة وضعية تحل محل شارة الصليب.

ويقترح شكلاً للنظام الوضعي، والحكومة الوضعية، وأعمال الكهانة، وطقوس العبادة والأسرة، إلخ. ثم يقترح أن تمر أوروبا بفترة انتقالية تتخلّص فيها من أوضاعها الراهنة لتنخرط تمامًا تحت السياسة والفلسفة والديانة الوضعية. ولقد تحمس (كونت) لنابليون محاولًا التأثير عليه ليأخذ بمذهبه مثلما فعل جده أفلاطون من قبل.

وبعد أن تتحول أوروبا إلى الديانة الوضعية الجديدة، يبقى نشر هذا التنظيم الجديد في العالم الشرقي وأمريكا والصين وإفريقيا واليابان لهدايتهم من ضلالهم القديم. يقول (كونت): "حينئذ يتحقق الهدف تمامًا، وتحيا الإنسانية بلا إله ولا ملك؛ وتبقى في نظام سرمدي سائرة في اطراد نحو التقدم. وهذه النتيجة الهائلة لن تنشأ عن إعادة الحماقات اللاهوتية التي يحبذها المذهب التقليدي، ولا عن انتصار ميتافيزيقا روحانية صبيانية، بل تنشأ بالمذهب الوضعي.][3]

---

(١) "أجيست كونت"، د. مصطفى الخشاب. سابق، ص ١٣٩ بتصرف.

(٢) "أجيست كونت"، د. مصطفى الخشاب. سابق، ص ١٤٠ بتصرف شديد.

(٣) "مدخل نقدي لدراسة الفلسفة"، د. محمد عبد الله الشرقاوي. ص١٦٠ وما بعدها بتصرف شديد.

هذا، وقد دعت ديانة الإنسانية إلى عبادة وتقديس الموتى وتخليد ذكرى من قدموا للإنسانية من أعمال الخير التي تعود بالنفع على كافة البشرية. هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر، فإن هذا التخليد لا يعم كافة أنوع البشر، فهناك من يموت فترتاح الإنسانية من شره، فهذا الصنف لا علاقة له بالخلود ولا بالذكرى. وهناك من وظف ما لديه من ملكات وسخرها لخدمة الإنسانية، فهذا الذي ينبغي أن يظل حيًا بين الناس وحقًا له أن يتحد بالإنسانية وأن تُخلد ذكراه إلى الأبد.

وفي التأكيد على ذلك يقول (إيميل بوترو): "في الإنسانية يستطيع الناس أن ينعموا حقًا بالخلود الذي يتطلعون إليه. ذلك أن الإنسانية تضم إليها كل ما يُطابق جوهرها وتحتفظ به وتتحد معه، وكل ما يجعلها أعظم وأجمل وأقوى. وما نسيج الإنسانية إلا أفكار الناس الواقعيين وعواطفهم، وهي تتألف من الأموات أكثر مما تتألف من الأحياء. هؤلاء الأموات يعيشون في ذكرى الأجيال الحاضرة، وإنها لذكري مُحركة فعالة مؤثرة. فالأموات يؤثرون في الأحياء بما يبعثونه فيهم من غيرة نبيلة تدفعهم إلى أن يكونوا جديرين بالانضواء تحت لواء أجدادهم العِظام.

حقًا لن يصبح هذا الإله مشخصًا، ولم يصبح هذا الخلود موضوعيًا، لأن المذهب الوضعي يُنكر هذه المُعتقدات الموحى بها من الأديان السماوية ويعدها خيالية."[(١)]

من خلال ما سبق يتضح لنا: أن (أوجست كونت) قد أعلن إفلاسه الفكري والعقدي في إنكاره للدين من ناحية، والدعوة لديانة الإنسانية من ناحية أخرى، ومن هنا كان من الضروري أن نزن الفلسفة الواقعية ورؤيتها للدين بميزان الإسلام، وهذا ما نشير في المبحث التالي:

---

(١) "العلم والدين في الفلسفة المُعاصرة"، إيميل بترو. سابق، ص ٥١ ،كذلك راجع: فلسفة أوجست كونت، ليفي بريل ، سابق، ص ٣٣٤

المبحث الرابع
موقف الإسلام من الواقعية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

بيان موقف الإسلام من الواقعية في رؤيتها للواقع المشاهد.

المطلب الثاني

بيان موقف الإسلام من إنكار الواقعية للدين والزعم بعدم صلاحيته

المطلب الثالث

بيان موقف الإسلام من دعوة الواقعية لديانة الإنسانية.

المطلب الأول

بيان موقف الإسلام من الواقعية في رؤيتها للواقع المشاهد

سبقت الإشارة إلى أن الواقعية وقفت بوضوح مع القول بحقائق الأشياء، وأنّ لها وجودًا خارجيًا، وذلك بخلاف **المثالية** التي أنكرت القول بحقائق الأشياء. ولأجل ذلك فقد تبنتها الكنيسة في العصور الوسطى وقدمتها على غيرها من الفلسفات الأخرى. غير أنّ الواقعية وإن حُمِدَت لها هذه المَحْمدة (القول بحقائق الأشياء) ، فإنّها تعاملت مع هذا الموضوع تعاملًا ماديًا بحتًا، حيث أنكرت أن يكون هُناك شيء خارج هذه المادة التي أقرت بحقيقتها على أرض الواقع. وبالتالي فهذه الأشياء ليست مخلوقة لخالقٍ أوجدها، سواءً على مستوى الكون المنظور أو مستوى الكائنات التي تعيش في هذا الكون.

وهُنا تختلف نظرة الإسلام عن الواقعية في رؤيتها للواقع المُشَاهد من عدة وجوه من أهمها ما يلي:

أولاً: يَعتبر الإسلام أنّ القول بحقائق الأشياء من المسلّمات البديهية:

فلا ينكرها إلا جاهلٌ أو فاقد للعقل والبصيرة. وفي هذا الشأن يقول الحق سُبحانه وتعالى: **ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ**[1] ، وقوله تعالى: **ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ**.[2]

ثانيًا: "يُثبت الإسلام وجودًا خارجيًا عينيًا مستقلاً عن الذات العارفة وإدراكها:

فوجود هذه الأشياء ثابت وقائم، سواء وجدت هذه الذات أم لا، أدركتها، أم لم تدركها. وفي ضوء ذلك تُفهم دعوة القرآن الكريم للنظر والتفكير في الأنفس والآفاق. فعلى سبيل المثال نقرأ قول الله ـ تعالى ـ : **ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ** [3].

هذه الآيات وغيرها كثير في القرآن الكريم، تنظر إلى الأشياء الموجودة، في هذا العالم، على أنّها موجودات حقيقية، ولها وجودها الواقعي الخارجي، وإلا لما كانت الاستفادة منها عن طريق التأمل والتفكير، ولا الحصول على الفائدة المرجوة من وراء تسخير المولى ـ ﷻ ـ لها من أجل الإنسان.

---

(١) سورة الغاشية، الآيات (١٧ ـ ١٩) .

(٢) سورة الحج: الآية (٦٥) .

(٣) سورة ق، الآيات من ٦– ١٠.

وبذلك يكون هذا العالم – في النظرة القرآنية – له وجوده المستقل، ولنا وجودنا العارف المستقل. وأننا نعرفه دون أن نحوله، ودون أن نُفقده شيئا من حقيقته، أو ظاهره، كما أننا نعرفه بأخذ صورة ذهنيه عنه يمكن أن تكون صادقة عن حقيقته وواقعه، وتبقى له خارجيته، كما تبقى لنا فاعليتنا الذاتية، ونشاطنا الذهني والمعرفي."[1]

ثالثًا: هذا الكون بكل مكوناته إنما هو من خلق الله ـ تعالى ـ :

مِصداقًا لقول الله تعالى: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ[2] وقوله تعالى: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﭼ[3] . وهكذا يتعامل الإسلام مع كون له وجود واقعي. يختلف بطبيعة الحال عن "وجود الله" . سبحانه . ولكنه وجود له خصائص مُدركة من واقع هذا العالم، وليست منتزعة من تصورات ذهنية مجردة، ولا من دعاوى يمليها الهوى من غير دليل !"[4]

رابعًا: ينظر الإسلام إلى المكونات المادية المختلفة على أنها كائنات مؤمنة بالله ـ تعالى ـ :

وليست كائنات جامدة لا روح فيها ولا إحساس كما ذهبت الفلسفة الوضعية في صورتها الواقعية. وهذا ما يؤكده قول الله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼ[5] وقوله تعالى: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ[6] .

وبهذا يتبين لنا أن كل مكونات هذا الكون إنما هي ساجدة لله . تعالى . ومُسبحة له ومقهورة بسلطانه ومشيئته.

خامسًا: (الإسلام يتعامل مع الأشياء الواقعية من خلال رؤية موضوعية:

وليست رؤية خيالية أو مثالية لا حقيقة لها على أرض الواقع. فهو يتعامل مع هذا الكون الواقعي الممثل في أجرام وأبعاد. وأشكال وأوضاع، وحركات وآثار وقوى وطاقات. لا مع الكون الذي هو "فكرة" مجردة عن الشكل والقالب. أو الكون الذي هو "إرادة" ممثلة في شكل وقالب. ولا مع الكون الذي هو "هيولي" ومادة أولية غير مشكلة، أو الكون الذي هو "صورة" أو "مثال" في العقل المطلق! أو الكون الذي هو "الطبيعة" الخالقة! التي تطبع

---

(١) المذهب الواقعي، د. البهنسي رزق البهنسي، سابق ص ١٥٣ وما بعدها.

(٢) سورة الزمر: الآية ٦٢ .   (٣) سورة البقرة: الآية ٢٩ .

(٤) كتاب "خصائص التصور الإسلامي"، سيد قطب، ص ١٣٧ وما بعدها بتصرف.

(٥) سورة الحج: الآية ١٨.   (٦) سورة الإسراء" الآية ٤٤.

الحقائق في العقل البشري! ولا مع الكون الذي هو عدم أو شبيه بالعدم .. إلى آخر هذه الأسماء، التي ليس لها مدلول "واقعي" يتعامل معه "الإنسان."

فالكون هو هذا الخلق ذو الوجود الخارجي الذي يدركه الإنسان، ويوجه إليه قلبه وعقله. إذن الكون في التصور الإسلامي هو هذه الخلائق التي أبدعها الله، وقال لها: كوني فكانت، والتي نسقها الله بحيث لا تتعارض ولا تتصادم، والتي هي خاضعة لله، عابدة له، مسخرة لأمره، مؤدية لما أراده منها، ولما سخرها له، على أحسن وجه من الأداء.)[١]

وبهذا يتبين لنا أنّ "الواقع الخارجـي له وجوده الذي أراده الله له بمشيئته . تعالى . وقد اعتمدت العلوم الإسلامية هذا المفهوم اعتمادًا كليًا. ولم تحد عنه: فعلوم القرآن وعلوم الحديث، وكذلك العلوم التي تتعرض لنواحي الحياة، حياة الفرد والطبيعة من كيمياء إلى طب إلى دراسة نباتات، إلى آخر كل هذه، واجهت الواقع الخارجي مواجهة المعترف بوجوده وجودًا يُعرَف بذاته، وعلى العقل أن يواجهه ويتعرف على ما يقدمه من حقائق تجريبية تعتمد على استقراء الموجودات في وجودها الكلي العيني.

وليس أبلغ من علوم التفسير التي تشرح الحقائق المُنزلة مستعينة بواقع الحقائق. وليس أدق من علوم الفقه التي تكشف ببصيرة المستنير بالنص المنزل ما يجب أن يكون في أمور الناس. وليس أصح من منهج المفكر المسلم في ذلك الحين تجاه الواقع في دراسته للقوانين التي تحكم جزئياته، وهي سنة الله التي ليس لها تبديلاً.

إن تدبر آيات الذكر الحكيم وسنة الرسول الكريم يُبين ثراءً كبيرًا ويُؤكد ببساطةٍ ويسرٍ أن الواقع الخارجي من خلق الخالق الأعلى . سبحانه وتعالى . وأن وجود هذا الواقع حقيقي يؤكد مقدرة الله . عز وجل . على الخلق والإيجاد."[٢]

كما يتبين لنا مما سبق: بيان ما يتميز به الإسلام في نظرته الواقعية للأشياء وما ينتج عنها من حقائق وهو بذلك يختلف اختلافًا بينًا عن الواقعية في نظرتها لهذه

---

(١) كتاب "خصائص التصور الإسلامي"، سيد قطب، ص١٧٥ وما بعدها بتصرف.

(٢) "مدخل إلى الفلسفة"، د. فوقية حسين. ط. شركة أخوان زرق للطباعة، القاهرة ١٩٨٢. ص ١١٠ وما بعدها بتصرف.

حول الواقع الخارجي للأشياء وأنه يمثل حقيقة لا يمكن التشكيك فيها راجع بالتفصيل كتاب: أصول الفلسفة والمنهج الواقعي: السيد محمد حسين الطبطبائي، ترجمة: عمار أبو رغيف، ج ٢، بدون ذكر الطبعة والتاريخ، ص ٢٥، وما بعدها، كذلك راجع كتاب: فلسفة العصور الوسطى الأوروبية بين المادية والواقعية: د/ محمد السيد أحمد شحاته، بدون ذكر المطبعة، ط الأولى، ٢٠٠٢م ، ص ٤٥

الأشياء والقول بحقائقها. وأن نظرة الواقعية نظرة قاصرة؛ لأنها ألغت الخالق . سبحانه وتعالى . ولم تجعل له دورًا في خلق الأشياء المُشاهدة على أرض الواقع، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

هذا وبعد الإشارة إلى بيان موقف الإسلام من قضية الواقع المشاهد وبيان الفروق الجوهرية بين النظرة الإسلامية والنظرة الواقعية يأتي الحديث عن موقف الإسلام من قضية إنكار الواقعية للدين، والزعم بتطوره، وهذا ما نشير إليه في المطلب التالي:

المطلب الثاني

بيان موقف الإسلام من إنكار الواقعية للدين والزعم بعدم صلاحيته

من المعلوم أنّ الواقعية فلسفة مادية إلحادية تُنكر ما وراء الطبيعة، ولا تعترف إلا بالواقع المحسوس من الأشياء. ومن هنا فإنّ الإسلام يرفض هذا التوجه الإلحادي الذي يفتئت على الدين ويُنكر حقائقه دون سندٍ أو برهان.

في الوقت نفسه فإنّ الإسلام قد قدَّم صورة واضحة المعالم في الجانب النظري والعملي، تُعظم من شأن الدين وتثبت أنه وحي الله . تعالى . إلى عباده، وأنّ هذا الوحي نزل به الروح الأمين على أنبياء الله ورسله ليأخذوا بيد الإنسانية الحائرة إلى طريق الهداية في الدنيا والسعادة في الآخرة. كما رسم القرآن الكريم صورةً كريمة للإنسان الذي شرّفه الله بحمل رسالة الدين في هذه الحياة.

ومن أهم ملامح هذه الصورة ما يلي:

ملامح صورة الدين من خلال الرؤية القرآنية:

أولاً) قدَّم الإسلام قضية الألوهية بصورة واضحة لا لبس فيها ولا غموض:

ولعل سورة الإخلاص تقدم حقيقة الألوهية بما لا يحتاج في إدراكها إلى كثير من العناء، وذلك إذا خلا عقل الإنسان من الملوثات الفكرية التي تحول بينه وبين إدراك حقائق الإسلام. وفي التأكيد على هذا المعنى يقول الدكتور/ محمد البهي – ~ تعالى .:"الإسلام يدعو إلى توحيد الله . تعالى – وتحويل الإنسان من عبادة البشر إلى عبادة الله –تعالى– يقول الحق – سبحانه وتعالى– " ڇ ى ي □ □ □ □ □ □ □ □[١] ، ويقول . سبحانه . ڇ ئۈ ئې ئى ئى ئد ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □

(١) سورة البقرة: ١٦٣.

چ (١) .

*وينكر أن يكون الإله متعدداً:

قال تعالى: چ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱچ (٢)

*وينكر أن يكون له ولد:

قال تعالى: چ ئې ئى ئى ئى ئد ی ی ی ی

چ(٣)

ويقول . سبحانه .: چڈ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ

چ (٤)

*ليس الله – في الإسلام – محسا ولا مشاهداً :

قال تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ چ(٥)

*وأخيراً بجمل القرآن الكريم خصائص الألوهية في هذا الشأن في قوله:

قال تعالى: چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ چ (٦)

وبذلك كانت وحدة الله المعبود وحدة خالصة؛ وكانت مفارقته في ذاته وفى صفاته مفارقة واضحة للمحسوس المشاهد. ".(٧)

ثانيا) أشار القرآن الكريم إلى أن الإنسان قد فطره الله على الإيمان به ـ سبحانه وتعالى ـ، مصداقًا لقوله: چ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ چ (٨) وقوله . ﷺ .:

"مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ"(٩)

ثالثا) أشار القرآن الكريم إلى أن الله قد أخذ العهد والميثاق على هذا الإنسان للإيمان به . سبحانه وتعالى . وفي هذا يقول الحق . تعالى .: چ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄچ

---

(١) سورة القصص: ٧٠

(٢) سورة المائدة: ٧٣

(٣) سورة الأنعام: ١٠١

(٤) سورة الإسراء: ١١١

(٥) سورة الأنعام: ١٠٣

(٦) سورة الإخلاص: ١-٤ .

(٧) الإسلام دين الإنسانية، د/ محمد البهي، سابق ص ٣٩ وما بعدها.

(٨) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٩) الجامع الصحيح: حديث ١٣٥٨، سابق.

ﭴ ﭵﭶ ﭷﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭳ.[1]

رابعاً) أشار القرآن الكريم إلى أن الدين وحي من الله تعالى وليس من صنع الإنسان أو مأخوذ من البيئة كما زعمت الواقعية، وفي هذا يقول الحق . سبحانه وتعالى .: ﭽ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ[2] .

خامسا) أشار القرآن الكريم إلى أن الله خلق الإنسان . حامل راية هذا الدين والمُتلقي عنه سبحانه وتعالى وحيه وهدايته . في أحسن تقويم. وفي هذا يقول الحق . سبحانه وتعالى .: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ[3] ، وقوله تعالى: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ.[4]

سادساً) أشار القرآن إلى استقلالية خلق الإنسان، وليس عن طريق التطور كما زعمت الواقعية. وفي هذا يقول الحق . سبحانه وتعالى .: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ.[5]

سابعا) كذلك أشار القرآن إلى أنّ الله خالق هذا الإنسان وليس الطبيعة. وفي هذا يقول . سبحانه وتعالى .: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ.[6]

ثامناً) أشار القرآن الكريم إلى أنّ الإنسان نزل مُعلَّمًا وليس خاليًا من العلم أو الفكر كما زعم "أوجست كونت" من خلال قانون الأحوال الثلاثة. وفي هذا يقول الحق . سبحانه وتعالى .: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ[7] وقوله تعالى: ﭽ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ[8] .

تاسعاً) ينظر الإسلام إلى الإنسان على أنّه مزيج من عقل وجسد وروح، وكل ما أودع فيه من قدرات خاصة بهذه النواحي أودعت فيه ليستخدمها على نحو متوازن في هذه الحياة. كما أنّ الإسلام "يمتاز بمفهوم أصيل عن الألوهية، واستيعاب كامل لهذا المفهوم

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٢

(٢) سورة الزمر، آية ٦٥

(٣) سورة الانفطار.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٧٠

(٥) سورة الأعراف: الآية ١١.

(٦) سورة ص. الآية ٧١ إلى الآية ٧٤.

(٧) سورة البقرة: الآية ٣١.

(٨) سورة الرحمن. الآية ١ إلى الآية ٤.

الذي هو سر الفطرة. كما اعترف الإسلام بالطبيعة البشرية وبحق ممارستها بشكل متوازن دون أن تنعزل عن الحياة بالرهبانية أو تلقي بنفسها في الموبقات، فالتوازن الدائم هو الذي يحقق للإنسان قدرته على أداء رسالته، وممارسة تجربته دون أن يفقد المسئولية باعتزالها، ودون أن يعجز عن احتمال الأمانة بالانحدار عنها، فضلًا عن أنّ الإسلام يعترف بالكائن البشري كما هو فيحقق له رغباته الجسدية والعقلية والروحية، كما يعترف بالنشاط الحيوي للإنسان وبحق الفرد في مزاولة هذا النشاط في حدوده المعقولة."[١]

وبهذا تتضح لنا الفوارق الجوهرية بين نظرة الإسلام والنظرة الواقعية للدين بحيث يمكن القول إنّ الواقعية قد أساءت إلى مقام الألوهية، بينما الإسلام أحاط هذا المقام بسياج من التكريم والإجلال والتعظيم وليس كما هو الشأن في الواقعية؛ ولا أقول هُنا أنه مقامٌ محاطٌ بالامتهان وإنما لا وجود له من الأساس.

كما يتبين لنا أيضًا بطلان ما زعمته الواقعية من تطوّر الدين، أو أنّ الإنسان قد مر بمراحل متعددة من التفكير تناسبت مع تطوراته المُختلفة عبر التاريخ، فضلًا عن كونه قد استقى أفكاره من البيئة المُحيطة به في كل مرحلة من مراحل تطوره. ولا شكّ أنّ هذه تعدُّ خطيئة كُبرى وجناية عظمى على الإنسان الذي أعلى الله قدره ورفع ذكره وجعله خليفة في أرضه، يعمرها ويقيم منهج الله فيها.

ونُلفت النظر إلى أنّ الإنسان عبر تاريخه الطويل قد تطورت معارفه تبعًا لتطور الإمكانات العلمية المُتاحة له، ولكنّ هذا التطور شيءٌ وتطور الفكر الذي زعمته الواقعية شيء آخر.

كما أنّ هذا التطور في المعارف والأفكار حسب المعطيات المختلفة، إنما يحتاج إلى جهد إنساني شاق ومتواصل، وهذا ما أكّده الدكتور/ محمد عبد الله دراز . رحمه الله . بقوله: ("التطور" بمعناه الأدبي؛ وهو الترقي من النقص إلى الكمال؛ ليس قانونًا علميًا؛ ولا سنة طبيعية مطردة ؛ ولا يمكن تطبيقه بصفة آلية على التاريخ البشري؛ وإنما هو إحدى القيم العليا التي تطمح إليها النفوس ؛ وتشرئب إليها الأعناق ؛ فتبلغها حيناً؛ وتنحسر عنها أحياناً ؛ نعم إن كل مصلح لابد أن يكون مؤمناً بإمكان تحقيق هذه الغايات السامية؛ إذ لولا الأمل في قابلية الأخلاق والعقائد للتحول والرقى؛ لبطل كل تشريع؛ ولأصبح من العبث بذل أدنى مجهود للتقدم؛ ولكن شتان ما بين قابلية الترقي وبين تحققه بالفعل؛ فهذا مطمحٌ

(١) "مقدمة العلوم والمناهج"، أنور الجندي، سابق. مج ٩ ، ص ١٩٤ وما بعدها، بتصرف.

لا يناله إلا من أدى مهره من العزيمة الصادقة؛ والمجاهدة المتواصلة؛ وتاريخ الإنسانية لا يسير في هذا الاتجاه على خطٍ رأسي مستقيم.[١]

هكذا نرى أن التحليل النفسي وشواهد التاريخ؛ والتطور الصحيح؛ لا يقف شيء منها في وصف الدفاع عن النظريات الموسومة بالتطورية؛ والتي تجعل الخرافة والأسطورة هي بداية الأديان؛ بل إنها بالعكس. تميل إلى تأييد النظرية المقابلة.)[٢]

هذا، وإذا كان الإسلام قد قدَّم رؤية سديدة في الجانب النظري تعبر عن أصالته وشموليته، فإنّه . أيضًا . قد قدَّم منهجًا واضح المعالم في الجانب العملي يجعل من الدين أداة فعالة في حياة الإنسانية، ويتعامل مع الإنسان تعاملًا كريمًا، وهذا المنهج يقوم على العديد من الأسس، منها:

أ – **الفرائض:** وهي الأمور التي بينها الشارع بنص من عنده وهي ملزمة يأثم تاركها، وهي العبادات المعروفة بأركان الإسلام الخمسة.

ب – **الشرائع:** وهي النظم الاجتماعية التي تحكم أعمال الجوارح وعلاقات الناس.

ج – **الحدود:** بمفهوم الموانع والضوابط التي لا يجوز للمسلم أن يتعداها.

د – **السنن:** أي العبادات والطرق والمناهج التي تتبع لزيادة الإيمان من النوافل والعبادات.

وهكذا أقام الإسلام شريعته ومنهجه ونظامه على ثلاث دعائم:

– عقيدة متحررة من التقليد والخرافات.

– عبادة تطهر النفس وتنظم سلوك الفرد وتضمن استمرار رِقابته على نفسه ومحاسبته لها .

– نظام قانوني قضائي يصون الحقوق الخاصة للأفراد والحقوق العامة للمجتمع.

كما تستهدف الشريعة تحرير العقل البشري من رق التقليد والخرافات وإصلاح الفرد روحيًا ونفسيًا وخلقيًا وتوجيهه نحو الخير والإحسان والواجب، كيلا تطغى شهواته ولا أطماعه على عقله وإرادته."[٣]

---

(١) علّق د/ دراز هنا قائلا: (نعم إن الناظر في الأديان السماوية الثلاثة يلاحظ بينهما تطوراً فعلياً؛ وتقدماً تدريجياً محققاً. لكن هذا التقدم لا يبرز فيها بصفة مطردة من حيث هي حقيقة خارجية تطبيقية حسبما يدين بها أهلها؛ كما كان يلزم لو صح المذهب التطوري؛ بل في حقيقتها التنزيلية من حيث طبيعة دعوتها ومناهج تشريعها ... وحتى من هذه الوجهة الأخيرة ليس هو تطوراً من الخطأ إلى الصواب كما تريد أن تصوره المذاهب التطورية للأديان؛ وإنما هو تدرج تصاعدي في مراتب الوفاء والشمول والكمال).

(٢) الدين– د. محمد عبد الله دراز – ص ١٧٤ وما بعدها، سابق.

(٣) مقدمات العلوم والمناهج – أنور الجندي، مج ٦ – ص ١٠ وما بعدها. سابق

وبهذا يتضح لنا بما لا يدع مجالًا للشك "أنّ واقعية الإسلام في التطبيق العملي تظهر لكل دارس لأحكام الشريعة أنّها واقعية أروع التزامًا، وأكثر تسامحًا من أي نظام في العالم.

وإذا كانت الواقعية الغربية قد تركت للإنسان أن يعبث بكل شيء، فإن واقعية الإسلام في شريعته السمحاء قد حددت للإنسان حدودًا لا ينبغي تجاوزها حماية لهذا الإنسان وصونًا لكرامته، فليس من الواقعية في شيء أن يُترَك المجرمون يعيثون في الأرض فسادًا وخرابًا وينشرون الآلام الكثيرة مجاراة لواقعيتهم المنحرفة وأن يُبرِّروا الجرائم المفسدة في الأرض ضمن إطار الواقعية. فهذا هو تفكير شياطين المجرمين المفسدين في الأرض الذين لا يريدون إصلاحًا ولا ينشدون كمالاً، ولكنهم يريدون أن يخرجوا بني آدم من جنة الحق والخير والفضيلة وأن يقذفوا بهم في جحيم الباطل والشر والرذيلة".[١]

كما يتضح لنا . أيضًا . "أنّ المنهج الذي جاء من عند الله لهداية الناس يحمل طابع الواقعية في شتى جوانب الحياة؛ لأنّه قابل للتحقيق الواقعي في الحياة الإنسانية من ناحية، ويتعامل مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود الحقيقي المتيقن والأثر الواقعي الإيجابي من ناحية أخرى. وبمثل هذه الواقعية يواجه الإسلام كل مظاهر الحياة فهو يتعامل مع الإنسان الذي هو كائن واقعي لا مع الإنسان الذي كمعنى مجرد أو ككائن مشخص، إنه الإنسان الواقعي، ومن ثم فإن المنهج الذي يرسمه له الإسلام منهج تنطبق حدوده على حدود طاقات الإنسان وتكوينه وواقعية لحمه ودمه وأعصابه وجسمه وعقله وروحه الممتزجة في ذلك الكيان."[٢]

وبهذا يمكن القول: "إنّ الواقعية هي إحدى الخصائص المهمة للإسلام، سواء على المستوى النظري المُتعلق بالأشياء النظرية وخصائصها، أو ما يتعلق بالجانب العملي المُترابط بأحكام الإسلام وشريعته السمحاء على مُستوى الفرد والمجتمع. حيث قدم الإسلام منهجًا واقعيًا يستوعب كافة الطاقات ويُلبى احتياجاتها دون مشقة أو عناء، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾[٤] ، كما يتضح لنا أيضًا أنّ الواقعية في الإسلام بديهة لا تُخطِئهُا عينٌ، فالإسلام مثالي الغاية

---

(١) "أجنحة المكر الثلاثة"، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة. ط دار القلم، دمشق٢٠٠٠ –ص ٤٩٩ وما بعدها بتصرف.

(٢) "خصائص التصور الإسلامي"، سيد قطب. ص ١٦٩ وما بعدها.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

(٤) سورة الحج ، آية ٧٨

شريف الوسيلة واقعي التطبيق".[١]

هذا وبعد الإشارة إلى موقف الإسلام من قضية إنكار الدين لدى الفلسفة الواقعية يأتي الحديث عن موقف الإسلام من دعوة الواقعية لديانة الإنسانية وهذا ما نشير إليه في المطلب التالي:

المطلب الثالث

بيان موقف الإسلام من دعوة الواقعية لديانة الإنسانية

إذا نظرنا إلى ديانة الإنسانية المزعومة من وجهة النظر الإسلامية، فإنه يمكن القول إنّ هذه الديانة المزعومة تتناقض مع الإسلام تناقضًا كليًّا، ومن هنا فإنه ينظر إليها على أنّها انحراف عقدي وخلل فكري.

١ ـ موقف العلماء من الدعوة لديانة الإنسانية:

قبل الحديث عن موقف الإسلام من ديانة الإنسانية أودّ التأكيد على أنّ دعوة الواقعية لديانة الإنسانية قد لاقت هجومًا عنيفًا من كثير من العلماء لما تمثّله من معول هدم للدين التقليدي (المسيحية)، التي زعم (أوجست كونت) لها صفة الحقيقة المطلقة، حيث إنّ كل شيء نسبي. وعندما قدَّم ديانة الإنسانية، قدمها في ثوب يحمل صفة المطلق، أو الحقيقة العليا، "وهذا ما جعله محلَّ انتقاد كثير من الوضعيّين قبل غيرهم، حيث إن (أوجست كونت) قد وقع في نفس الأخطاء التي انتقدها في الديانات التقليدية، فلقد عمل على هدم التصورات اللاهوتية ذات الطابع المطلق لتحل محلها الحقائق النسبية، ومع ذلك فإن اعتقاده في وجود حقيقة عليا تتوقف عليها الحقائق الأخرى لم يكن سوى اعتقاد في هذا المطلق على النمط اللاهوتي الذي حاربه، ففكرة الإنسانية المطلقة تحل محل الفكرة القديمة وتؤدى وظيفتها الدينية."[٢]

وفى نقده لفكرة الإنسانية يقول(فرنكلين باومر):

"لابد أن يكون دين الإنسانية قد بدا لأي مسيحي أو حتى لمؤلهي الطبيعة كأنه لا دين على الإطلاق، بعد أن تخفف من الإله، واقتصر في نهاية المطاف على الأنثروبولوجيا أو الإيمان بالإنسان."[٣]

---

(١) "أجنحة المكر الثلاثة"، ص ٤٩٨ وما بعدها بتصرف.

(٢) "منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية"، د. محمد محمد أمزيان. سابق، ص٨٣. بتصرف.

(٣) الفكر الأوربي الحديث – فرنكلين باومر. سابق، ص٦٤

ويقول (هربرت سبنسر):[١]

"إن للعاطفة الدينية أصلًا عميقًا في الإنسان، فهي من ثمة مشروعة. إنها عاطفة الاحترام بل الحب الذي تحسه النفس نحو ما يعلو عليها. وليس لها أن تخشى شيئًا من النقد المنطقي مهما اشتد، فإن القوة التي ينم عنها العالم تفوق إدراكنا. هذا هو الدين الذي يعترف به العلم، لا دين الإنسانية الذي ابتدعه (أوجست كونت) وزعم له صفة الواقعية وأقامه على عبادة الطبيعة المنظورة وعظماء الرجال. وما سائر الأديان المعروفة عن الشعوب المتوحشة والمتحضرة إلا ترجمات مختلفة عن القوة العظمى التي هي علة الظواهر الطبيعية والتي كان الإنسان البدائي يحس شيئا منها في فعلة الإرادي."[٢]

أما (ليفي بريل) "فقد استنكر زعم أوجست كونت أن الإنسانية هي الحقيقة العليا مع كونه أكد أنه ليس هناك شيء مطلق وكل شيء نسبى ومع ذلك، فقد كان يعتقد في الواقع أن هناك حقيقة عليا تتوقف عليها كل الحقائق الأخرى، وكان يعد فكرة هذه الحقيقة أساسًا لوجهة نظره العقلية عن العالم. ويطلق (كونت) على هذه الحقيقة اسم الإنسانية. وهي ليست الهدف النهائي في ذاتها لكل فكرة ولكل نشاط، ولكنها الهدف النهائي بالنسبة إلينا.

وهذا الفارق لا يعنى أكثر من أن الفلسفة الجديدة قد تركت وجهة النظر الميتافيزيقية إلى وجهة النظر الوضعية. وبهذا التحفظ، تكون فكرة الإنسانية موازية تماما للفكرة القديمة عن الحقيقة المطلقة. فإنها تحل محلها وتؤدى وظيفتها الدينية. فهي إذن في الحقيقة فكرة مطلقة نسبية، إذا جرؤنا على مثل هذا التعبير."[٣]

فهذا الكلام لليفي بريل يؤكد أن (أوجست كونت) قد حول الإنسانية إلى إله يعبد من دون الله ـ تعالى ـ وأنه أضفى عليها صفة الحقيقة المطلقة بينما جرّد الدين الإلهي من هذه الحقيقة المطلقة. وهو بهذا قد رفع الإنسانية لمقام أعلى من الدين، وناقض نفسه قبل أن ينال من الدين.

هذا، ويلفت (ليفي بريل) النظر إلى أن (أوجست كونت) أذاب الإنسان في الإنسانية وألغى شخصيته تحت راية ديانة الإنسانية المزعومة.

---

(١) عالم ومُفكر بريطاني، وُلد في سنة ١٨٢٠. وتوفي سنة ١٩٠٣. – راجع كتاب "قصة الفلسفة"، ويل ديورنت. سابق، ص ٢٧٨ وما بعدها.

(٢) "تاريخ الفلسفة الحديثة"، يوسف كرم. سابق، ص ٣٥٩

(٣) فلسفة أوجست كونت ليفي بريل، سابق، ص٣٢٦

وفى هذا يقول (ليفي بريل): "الفرد صنيعة الإنسانية. لقد قال (كونت) من الواجب ألإلا نُعرِّف الإنسانية بالإنسان، بل يجب على العكس أن نعرف الإنسان بالإنسانية ونحن نفهم بوجه عام المغزى الخلقي والاجتماعي الذي ترمى إليه هذه الصفة، فنرى فيها طعنًا في (مبدأ الفردية) وأحد الأسس الموجهة للنظام الوضعي، وفهمُ الصيغة على هذا النحو لا يجانب الصواب.

فالواقع أن مثل هذه النتائج يمكن استنباطها من هذه الصيغة التي وضعها (كونت) ولكن ليست إلا نتائج على كل حال. وليس الهدف المباشر لهذه الصيغة هو إخضاع الفرد من وجهة النظر الاجتماعية للجماعة. فهي تعبر قبل كل شيء عن حقيقة واقعية، فإذا نظرنا إلى الإنسان في حالة عزلته فإن العلم الوضعي لا يسمح بتعريفه إلا بأنه حيوان تهدف حياته الحيوانية إلى حفظ كيانه العضوي، وشأنه في ذلك شأن جميع الحيوانات الأخرى.

إما إذا أردنا تعريفه بصفاته الإنسانية الجوهرية، أي بالذكاء والميل إلى حياة المجتمع، فيجب في هذه الحال أن نتخطى النظر إلى الفرد، لكي ننظر إلى النوع الإنساني بأسره."[١]

وفى نقده لديانة الإنسانية يقول (إميل بترو) متهكمًا: "الإنسانية فكرة غامضة عاجزة عن تقديم مبدأ أول فهناك الإنسان الظاهر، المشاهد من خارج، وهو مجموعة من الوقائع الموجودة الشبيهة بسائر الوقائع الأخرى. وهناك الإنسان الباطن الذي يفكر ويرغب ويحسّ ويبحث."

وعلى الرغم من إنكار(أوجست كونت) لعلم النفس، فقد شعر شعورًا قويًا بالواقعية الخاصة بهذا الإنسان الباطن. ولئن اتخذنا من الإنسان مقياسًا للأشياء، فلن نغلق باب عصر المباحث الميتافيزيقية والدينية إلى الأبد، ولكننا نفتحه من جديد، إذ ما الإنسان ؟ أنحن على يقين من أنه بالذات ليس إلا ظاهرة، أو مجموعة من الوقائع، أو مجرد شيء؟

لقد كان (جوته) يقول: "إن الفلاسفة لم يفعلوا شيئًا حين قطَّعُوا أوصال الإله الخارجي المادي الذي تربع على عرش السُحب، ولو أن الإنسان انعطف على نفسه لوجد فيها الإله الحق، الداخل في الوجود لا الخارج عنه، الإله الذي هو قوة خالقةٌ لا ظاهرة

---

(١) "فلسفة أجيست كونت"، ليفي بريل. سابق، ص ٣٢٧.

معطاة."[1]

من خلال ما سبقت الإشارة إليه يتضح لنا: أن ديانة الإنسانية لم تجد أمامها الطريق ممهدًا أو مفروشًا بالورود بل مليء بالعقبات والاعتراضات حتى من أقرب مؤيدي (أوجست كونت)، وهذا يدل على أن (أوجست كونت) قد فشل فيما ذهب إليه من خلال دعوته لديانة الإنسانية، حيث أراد أن يُبعِد الإنسان عن اللاهوت والميتافيزيقيا فإذا به يغوص فيهما من مفرق رأسه إلى أخمص قدميه.

وفي هذا الشأن يقول الدكتور (مصطفى الخشاب) عن فشل (أوجست كونت) في تسويق بضاعته قائلا: "إنه أغرق في تصوراته الدينية وملأ صدره بآمال صوفية لا سبيل إلى تحقيقها،فلم تتحقق الوحدة الدينية التي كان ينشدها من وراء دينه الوضعي، ولم تستطع الأجناس الثلاثة (الأبيض والأصفر والأسود) التي تمثل (الذكاء والعمل والعاطفة) أن تتجه بالعبادة والتقديس إلى محراب واحد،وتقصد إلى كعبة واحدة وتدين بدين واحد."[2]

كما يتساءل (إميل بترو) حول ما ذهب إليه (أوجست كونت) في فلسفته قائلا: "ما قيمة هذا المذهب ؟ وأي درس نستطيع أن نستخلصه منه؟"

يمكن تعريف مذهب كونت الوضعي بأنه التركيب بين العلم والدين تركيبًا يتم بوساطة فكرة الإنسانية.فقد أصبح العلم بعد خضوعه لحاجات الإنسان مفضيًا إلى الدين الذي يستطيع وحده أن يضمن تحقيق الغايات التي يقدم العلم وسائلها.ومن جهة أخرى حين وجد الدين في الإنسانية ذاتها الموضوع الملائم لعبادته أخذ يؤدى عمله دون أن يخرج من عالم الواقع الذي يدور العلم فيه.

أيرضى العقل بهذا التركيب؟

لقد لوحظ كثيرًا أن العلم يضيق ذرعًا في هذا المذهب،لأنه ليس ممنوعًا فقط من الاختصاص بالمباحث التي ليست منفعتها الاجتماعية واضحة، أو أن يذهب بعنايته الدقيقة إلى ما وراء الحدود التي تكفي الحياة العملية، بل فُرضت عليه فروض تحكُميَّة وأوهام من نسج الخيال وليس الدين في مذهب (كونت) بأقل من العلم ضيقًا؛ إذ من العبث أن تعود الحال كما كانت في المدرسية [3] إلى ولايته على الفلسفة. لأن الدين تُسيِّره آمالٌ

---

(1)"العلم والدين في الفلسفة المُعاصرة"، د. إيميل بترو. سابق، ص ٦٦ وما بعدها بتصرف شديد.

(2) أوجست كونت د/ مصطفى الخشاب ص١٤٤

(3) يقصد المدرسة الفلسفية في العصور الوسطى.

خفيفة لا يستطيع قمعها أو إشباعها."[١]

وبهذا يتبين لنا أن ديانة الإنسانية قد نالها الكثير من التهكم والسخرية مما يوحى بأن هذه الديانة الجديدة لم يرضَ عنها الكثير من علماء الغرب والشرق على السواء. كما يتضح لنا أنّ العبادة في ديانة الإنسانية تستهدف في المقام الأول شعور المُنتسبين إليها بأن لديهم في الديانة الجديدة ما يؤلف بين قلوبهم ويحرك مشاعرهم ويغذى نعرة الانتماء لديهم عزاءً عما افتقدوه في الديانة التقليدية (المسيحية).

كما أن (أوجست كونت) قد لعب في هذه الطقوس على وترٍ حساسٍ؛ ألَا وهو تخليد ذكرى من رحل من أتباع هذه الديانة، وجعله حيًا بين أتباعها كأنه لم يمت أو مات وبعث من جديد. وهذا وترٌ يغذي طموح الكثير من الذين يريدون أن يظلوا في الواجهة وعلى ألسنة الناس حتى وإن كانت الدنيا قد أنزوت عنهم أو أنزوا عنها قبل وبعد الرحيل.

٢ ـ موقف الإسلام من ديانة الإنسانية:

وبعد الإشارة إلى موقف العلماء من ديانة الإنسانية، يأتي الحديث عن موقف الإسلام من ديانة الإنسانية، والذي يمكن رصد أهم ملامحه فيما يلي:

أولاً: ينظر الإسلام إلى هذه الديانة على أنها انحراف برسالة الدين التي حملها الأنبياء والرسل "عليهم الصلاة والسلام " حيث جعل أوجست كونت من نفسه هادياً ومصلحاً للبشرية وهذا افتئات على مقام الإلوهية الكريم.

ثانياً: إن الدعوة إلى تقديس الإنسانية وعبادتها من دون الله ـ تعالى ـ هي وثنية جديدة في العصر الحديث تحت راية العلم الوضعي الذي أراده أوجست كونت ليكون بديلاً عن الدين وبهذا تتحول نعمة العلم إلى نقمة على الإنسانية بسب الانحراف بهذه النعمة عن مسارها الصحيح وتوظيفها لخدمة أغراض دنيئة ولتحقيق مكاسب رخيصة سرعان ما تزول بزوال أصحابها وهذا ما حدث بالفعل بالنسبة لهذه الديانة المزعومة التي أرادها كونت أن تكون من عوامل توحيد المجتمع الغربي فإذا بهذا المجتمع يهيم على وجهه كالإبل السائمة حيث عاش الغرب بعد رحيل أوجست كونت تمزقًا وشتاتًا لم يعرفه في تاريخيه الطويل وخير مثال على ذلك ما حدث بعد الحرب العالمية الأولى والثانية والتي راح ضحيتها الملايين من الغربيين.

ثالثاً: يرفض الإسلام تقديس المخلوقات وتعظيمها من دون الله تعالى فهي

(١) إميل بترو ص ٦٥ وما بعدها.

مخلوقات لخالق أوجدها سبحانه وتعالى وهى مقهورة بسلطانه وإرادته ومن هنا فإن إخراج هذه المخلوقات من دائرة العبودية لله تعالى وتحويلها إلى كائنات معبودة هو ظلم بيّن لهذه المخلوقات. وفي التأكيد على هذا يقول الحق . سبحانه وتعالى .: **ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ**.[١]

رابعاً: إن كرامة الإنسان في عبوديته وليست عبادته حيث إن الإنسان لم يخلق نفسه بنفسه وإنما هو مخلوق لخالق أوجده؛ ومن هنا فان تحويل الإنسان من عابد إلى معبود هو امتهان لكرامة الإنسان سواء كان معبوداً من دون الله تعالى او عابداً لغيرة من البشر .

وبهذا يمكن القول: إن ديانة الإنسانية بدعة ضالة ينكرها الإسلام ويعتبرها انحرافاً برسالة الإنسان الذي كرمه الله . سبحانه وتعالى . وأعلى من شانه ورفع من قدرة وجعله سيداً على هذه المخلوقات من حوله فكيف يتحول الإنسان ليصبح عبداً لهذه المخلوقات التي خلقت من أجله؛ إن هذا إن دل فإنما يدل على أن صاحب هذه البدعة الضالة هو مريض نفسياً قبل أن يكون فيلسوفاً يشرع للناس ما لم يأذن به الله سبحانه وتعالى.

خامساً: إن تقديس المرأة والصلاة لها يعدُّ أمرًا منكرًا في الإسلام، وهو يدلُّ على أنّ مؤسس ديانة الإنسانية قد بلغ في انحرافه العقدي والفكري مبلغًا لم يسبقه إليه مفكر أو فيلسوف من قبل

هذا، وبالحديث عن موقف الإسلام من الواقعية ورؤيتها للدين بوجه عام ودعوتها لديانة الإنسانية بوجه خاص، يكون هذا البحث قد تم بحمد الله تعالى وفضله ومنته، راجيًا من الله ﷻ التوفيق والسداد والقبول وأن ينفع الله به الإسلام والمُسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

❋ ❋ ❋

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٩٤.

الخَاتِمَـــة

وتشتمل على ما يلي:

أولاً: النتائـــج:

من خلال هذه الدراسة يمكن التأكيد على العديد من النتائج من أهمها ما يلي:

١- أنّ الفلسفة الواقعية باعتبار أنّها فلسفة مادية، فإنّها ذات جذور عميقة تَضرب في التاريخ الإنساني منذ أمدٍ بعيدٍ؛ خاصة المجتمع اليوناني القديم.

٢- أنّ إنكار الدين والتحرر من مبادئه ليس وليد هذا العصر، وإنما وجدت له شواهد تاريخية في كثير من المجتمعات قديمًا وحديثًا.

٣- ثَبَتَ من خلال هذا البحث أنّ الكنيسة الغربية لعبت دورًا هامًا في تأجيج الهجوم على الدين بداية من العصور الوسطى ومرورًا بالعصر الحديث، وذلك بسبب سطوتها
وتسلطها على رقاب البلاد والعباد مما نتج عنه وجود مقاومة شرسة للكنيسة عبرت عنها بقوة الثورة الفرنسية؛ التي أزاحتها عن سلطانها وأراحت المجتمع من جبروتها.

٤- ثَبَتَ من خلال هذه الدراسة أنّ الفلسفة الواقعية في العصر الحديث نبتت في بيئة مُعادية للدين ومُعلِيةً من قيمة الأفكار المادية مما ساهم في انطلاق الفلسفة الوضعية الواقعية التي أسسها (أوجست كونت) بعيدًا عن الدين، بل ومُستعلية عليه.

٥- ثَبَتَ تاريخيًا أن الفلسفة لم تكن معادية للدين على طول الطريق، وإنما كانت متساوقة معه بصورةٍ أو بأخرى. ومن هنا فإن الهجمة الشرسة في العصر الحديث على الدين من قبل الفلسفات الغربية خاصة الفلسفة الوضعية الواقعية، كانت هجمةً لم يكن لها مثيل من قبل؛ وهذا يرجع إلى حالة القحط الفكري والديني الذي عاشت فيه المجتمعات الغربية تحت سطوة الكنيسة وجبروتها عبر تاريخها المرير.

٦- ثَبَتَ من خلال هذه الدراسة أن الواقعية قد أتت ببدعة جديدة لم تعرفها الفلسفات الأخرى قديمًا أو حديثًا؛ وهي تبني الدعوة إلى ديانة جديدة تحت مسمى (ديانة الإنسانية). وهذه الديانة المزعومة وإن كان لها جذورها التاريخية في المجتمع الغربي إلا إنها لم تتبلور في صورة ديانة متكاملة الأركان إلا على يدي الفلسفة الوضعية الواقعية وكاهنها الأعظم (أوجست كونت).

٧- ثَبَتَ من خلال هذه الدراسة أنّ الإسلام يُنكر ما ذهبت إليه الواقعية جملةً وتفصيلاً، كما يرى أنّ هذه الفلسفة قد أنكرت حقائق الدين وهي بذلك تتنافى مع ما جاء به الأنبياء

والرسل – عليهم الصلاة والسلام – من رسالات إلهية أخذت بيد الإنسان إلى طريق الهدى والرشاد منذ أن نزل على هذه الأرض ممثلًا في آدم عليه السلام وذريته من بعده. كما أن هذا الإنسان عبر التاريخ الإنساني كان مستقلًا في خلقه وفكره وعقيدته ولم يكن متطورًا في شيء من ذلك كما زعمت الفلسفة الوضعية الواقعية.

٨- ثَبَتَ من خلال هذه الدراسة أنّ الإسلام قدم رؤية واقعية واضحة المعالم في المجال العملي والنظري على السواء، ولا غَرْو في ذلك؛ فهو رسالة الله الخالدة التي جاءت لتصحح ما وقعت فيه الإنسانية من تحريف للرسالات السابقة التي شوهها القائمون عليها، مما نتج عنه الإساءة إلى الدين من عقلياتٍ لم تفرق بأنّ الدين وحقائقه شيء، وأنّ القائمين عليه شيء آخر.

ثانيًا: التوصيـــات:

من خلال هذا البحث أشير إلى أهم التوصيات التي يمكن الاستفادة منها في هذا الموضوع:

١- أهمية دراسة الفلسفة بصورة موضوعية لكشف عوارها وما تبثه من أفكار ضالة تحت راية العلم والتي انطلت على العقلية الغربية المضطربة من الماضي والقلقة من الحاضر والخائفة من المستقبل؛ مما جعلها تقبل كل ما تطفح به الفلسفة دون النظر إلى محتواه وموقفه قربًا أو بعدًا من الدين.

٢- أهمية توعية العقلية العربية والإسلامية بضرورة ربط الأفكار الفلسفية بحقائق الدين وعدم الانسياق وراء الفلسفات والأفكار الغريبة التي أعملت العقل فيما لا مجال للعقل فيه. حيث إنّ العقل الإنساني مهما أوتي من علم فلن يستطيع الوصول إلى يقين في قضية من قضايا ما وراء الطبيعة دون الرجوع إلى الوحي الإلهي الذي يمد الإنسان بحقائق فوق طاقة العقل وقدرته على الوصول إليها بعيدًا عن هذا الوحي الإلهي الكريم.

٣- أهمية توعية العقلية الغربية بخطورة الفلسفات المادية وأنّه لا مخرج لها من هذه الهوة السحيقة التي وقعت فيها إلا من خلال الإسلام الذي جاء ليأخذ بيد الإنسانية الحائرة إلى طريق الرشاد. وهنا يمكن القول: إن التقصير في هذا الموضوع يُعد خللًا ينبغي على الأمة أن تتداركه قبل فوات الأوان. فالمجتمع الإنساني بأثره هو مسؤولية أمة محمد ﷺ في الغرب والشرق على السواء. ومن هنا ينبغي أن نثمِّن دور الأزهر الشريف في هذا المجال، الذي لا يدانيه دور من الأدوار في الماضي والحاضر على السواء.

٤- تُوصي هذه الدراسة بأهمية تحصين العقلية المسلمة من مثل هذه الفلسفات الضالة والتي

تتبناها بصورة غير موضوعية بعض الأقسام الفلسفية في المجتمعات العربية دون تفنيد لها أو كشف لضلالها. ويُحمَد للأزهر الشريف تدريس هذه الفلسفات وكشف ما بها من زيغ تحصينا للعقلية الأزهرية التي يناط بها حماية المجتمع الإسلامي بأسره من كل زيغ أو ضلال فلسفي أو فكري، حتى ولو اتخذ من العلم ستارًا يخفى من خلاله وجهه القبيح.

٥- تُوصي هذه الدراسة بضرورة كشف وتعرية الأفكار الوافدة والداعين إليها تحت راية المحبة والإخاء الإنساني وغير ذلك من المصطلحات التي تخفى خلفها الحقد على الدين وأهله خاصة الإسلام الذي يعد حجز الزاوية وعمود الخيمة في واقعٍ يموج بالزيغ والضلال ولا نجاة له إلا تحت راية هذا الدين الذي ارتضاه الله للإنسانية إلى قيام الساعة مصداقًا لقوله . تعالى .: **چ چ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ چ**.[1]

٦- أهمية إيقاظ جذوة الإيمان في قلوب أبناء المجتمع الإنساني بأسره، وتعريفهم بحقائق هذا الكون في ضوء الوحي الإلهي وبعيدًا عن شطحات الفلسفات المادية التي حولت الإنسان إلى مسخٍ لا يعرف إلا لغة الأكل والشرب، فكانوا بحقٍ كما قال الله . تعالى .: **چ ٻ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ چ**.[2]

٧- تُوصي هذه الدراسة كل من يغوص في أعماق الفلسفة المادية بحثًا أو تأصيلًا، ألا يعتمد على المناهج الفلسفية الغربية في تقرير حقائق الأشياء، فهي مناهج منحرفة ومقاييس باطلة لا علاقة لها بحق أو حقيقة، كما أنّ اتخاذها من شمَّاعة العلم وسيلة للتسويق لا يبرر قبولها بحال من الأحوال، لتصادمها مع حقائق الدين التي لا تقبل الشك أو التشكيك لأنها من **چ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ چ**.[3]

تم بحمد الله وتوفيقه.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثالثًا: أهم مراجع البحث

أ) القرآن الكريم.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٧٩.

(٣) سورة هود، الآية ١.

ب) كُتب السنة.

ج) أهم المراجع العلمية:

١. " أصول الفلسفة والمنهج الواقعي": السيد محمد حسين الطبطبائي، ترجمة: عمار أبو رغيف، ج ٢، بدون ذكر الطبعة والتاريخ، وما بعدها.

٢. "أجنحة المكر الثلاثة"، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة. ط دار القلم، دمشق.

٣. "أجيست كونت"، د. مصطفى الخشاب. ط لجنة البيان العربي، القاهرة. ط. الثانية ١٩٥٦.

٤. "أصل الفلسفة"، د. حسن طلب. ط عين للدراسات والبحوث الإنسانية – مصر، الأولى ٢٠١٣م.

٥. "أصول علم الاجتماع"، د. قباري محمد إسماعيل. ط الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٨م.

٦. "اعترافات علماء الاجتماع"، أحمد خضر، ط مجلة البيان، الأولى، ١٩٩٣.

٧. "أفكار ورجال: قصة الفكر الغربي"، كرين برنت، ترجمة: محمود محمود. ط مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥.

٨. "أفلاطون"، ثياتيتوس، ترجمة أميرة حلمي مطر، بدون الطبعة والتاريخ.

٩. "الإسلام بين الأديان: دراسة في طرق دراسة الدين وأهم قضاياه"، د. محمد كمال جعفر.

١٠. "الإلحاد في الغرب"، د. رمسيس عوض.

١١. "الإنسان في ظل الإسلام" د. عبد الغني عبود. ط دار الفكر العربي، الأولى ١٩٧٨م.

١٢. "الدين عند الإغريق والرومان والمسيحيين"، أبكار الثقاف. ط مؤسسة الإرشاد العربي

– بيروت لبنان، الأولى ٢٠٠٤.

١٣. "الدين والعلم في الفكر العربي الحديث" د. عزمي زكريا ، ط. المكتبة المصرية القاهرة، ٢٠٠٤م

١٤. "الدين والفلسفة والعلم"، السيد محمود أبو الفضل المنوفي. ط دار الكتب الحديثة – مصر، بدونا لط والتاريخ.

١٥. "الرومانتيكية والواقعية"، يانكولامرين، ترجمة: حلمي راغب. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.

١٦. "العلم والدين في الفلسفة المُعاصرة"، إيميل بترو. ط الهيئة العامة للكتاب، ٢٠١٣.

١٧. "العلمانية نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة الإسلامية المعاصرة"، د. سفر الحوالي. الطبعة الثاني، ١٩٩٩م.

١٨. "الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار" د. محمد البهي. مكتبة وهبة، مصر.

١٩. "الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه"، د. محمود عبد الحكيم عتمان. بدون ذكر المطبعة، ط ٥، ٢٠٠٤م.

٢٠. "الفلسفات الكبرى"، بيير دوكا سييه، ترجمة: جورج يونس. ط منشورات عويدان، بيروت – لبنان، الثالثة ١٩٨٣م.

٢١. "الفلسفة الحديثة عرض ونقد"، د. أحمد السيد علي رمضان. ط مكتبة الإيمان، القاهرة بدون الطبعة والتاريخ.

٢٢. "الفلسفة المعاصرة في أوروبا"، إ. م. بوشنسكي. ترجمة: عز القرني. ط عالم المعرفة، العدد ١٥٦، سبتمبر، ١٩٩٢.

٢٣. "الفلسفة المعتدلة عند يوسف كرم"، د. سامي السهم. ط الهيئة العامة للكتاب،

مصر، ٢٠١٥م.

٢٤. "الفلسفة الوسطية"، د. علي زيعون. ط دار الأندلس، الثانية، ١٩٧٩.

٢٥. "الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها"، د. أميرة حلمي مطر. ط دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٨م.

٢٦. "الفلسفة أنواعها ومشكلاتها"، تألف: هنتر ميد، ترجمة: د. فؤاد زكريا ط نهضة مصر الثالثة ٢٠٠٦م.

٢٧. "الفلسفة وقضايا العصر"، جون ر. بورر، ترجمة: د. أحمد حمدي محمود. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ج٣، ١٩٩١م.

٢٨. "الفلسفة ومباحثها"، د. محمد علي أبو ريان. ط دار الوفاء للطباعة، مصر، ٢٠١٥م.

٢٩. "المادية في الفكر الفلسفي"، د. أحمد السيد رمضان. ط مكتبة الإيمان المنصورة الأولى ١٩٩٩م.

٣٠. "المجموعة اللاهوتية – القديس توما الإكويني"، د. زكريا إبراهيم. مجلة تراث الإنسانية، المجلد الثالث.

٣١. "المدخل إلى الفلسفة"، أرفيلد كولبه، ترجمة: أبو العلا عفيفي. ط لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٢م.

٣٢. "المذهب الواقعي وأثره على الدين والأخلاق"، د. البهنسي رزق البهنسي، ط الدار الإسلامية للطباعة والنشر المنصورة بدون الطبعةبع والتاريخ.

٣٣. "المُشكلات الكبرى للفلسفة اليونانية"، أوليف جيجون، ترجمة عزت قرني. ط دار النهضة العربية – القاهرة، سنة ١٩٧٦.

٣٤. "المُعجم الفلسفي"، جميل صليبة. جـ ٢، ط دار الكتاب اللُبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.

٣٥. "المُعجم الفلسفي"، د. مراد وهبة. ط الهيئة العامة للكتاب، مصر ٢٠١٦.

٣٦. "المعجم الوسيط"، مجمع اللغة العربية، ط دار الدعوة، القاهرة.

٣٧. "المعرفة والألوهية عند أفلاطون وأرسطو وأثرها على العلاف والفارابي"، دكتور شريف مصباح محمود. ط الهيئة العامة المصرية للكتاب، سنة ٢٠١٥

٣٨. "المعرفة"، د. محمد فتحي الشنيطي. ط مكتبة القاهرة الحديقة، مصر، الثالثة ١٩٦٢م.

٣٩. "المعقول واللامعقول في الأديان"، د. محمد عثمان الخشت. طبعة نهضة مصر، الأولى ٢٠٠٦.

٤٠. "الواقعية في الفن"، مجاهد عبد المنعم. دار الثقافة مصر، بدون الطبعة والتاريخ.

٤١. "برتراند رسل"، ترجمة: د. زكي نجيب محمود، ط لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٨م.

٤٢. "تاريخ العالم الإغريقي وحضارته"، فوزي مكاوي. ط المكتب المصري لتوزيع المطبوعات – مصر ١٩٩٩.

٤٣. "تاريخ الفكر الاجتماعي"، د. غريب سيد أحمد. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط ١٩٨٩م.

٤٤. "تاريخ الفكر الأوروبي الحديث"، فرانكلين .أ، ل. باومر. الهيئة المصرية للكتاب، مصر ١٩٨٩م.

٤٥. "تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط"، يوسف كرم. ط دار القلم، بيروت،

لبنان،١٩٧٩.

٤٦. "تاريخ الفلسفة الحديثة"، أ. و. بن، ترجمة عبد المجيد عبد الرحيم. ط مكتبة الأنجلو المصرية، الأولي ١٩٥٨م.

٤٧. "تاريخ الفلسفة الحديثة"،يوسف كرم، دار المعارف، القاهرة، ط٥ .

٤٨. "تاريخ الفلسفة الحديثة، عرض ونقد"، د. أحمد السيد على رمضان. ط مكتبة الإيمان المنصورة الأولى ١٩٩٩م.

٤٩. "تاريخ الفلسفة السياسية"، د. علاء حمروش. ط دار التعاون، سنة ١٩٨٦م.

٥٠. "تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي"، د. مصطفى النشار. ط دار قباء، مصر، سنة ٢٠٠٠م.

٥١. "تاريخ الفلسفة"، الكتاب الأول، فواد سواف تاتاركيفتش، ترجمة: محمد عثمان مكي العجيل. ط دار عزة للنشر والتوزيع، السودان، ٢٠٠٥م.

٥٢. "تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية"، د محمد محمد صالح. ط دار الحجة، أبو ظبي. بدون الطبعة والتاريخ.

٥٣. "تاريخ علم الاجتماع"، د. محمد علي محمد. ط دار المعرفة الجامعية، مصر.

٥٤. "تراث العالم القديم"، تأليف و. ج دي بورج، ترجمة: زكى سوس. ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٩م.

٥٥. "تمهيد للفلسفة"، د. محمود حمدي زقزوق. ط مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م.

٥٦. "جون لوك"، د. عزمي إسلام. ط دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون الطبعة والتاريخ.

٥٧. "خصائص التصور الإسلامي"، سيد قطب. ط دار الشروق ط. السادسة عشرة.

٥٨. "دراسات في الأديان"، د. حسن الهواري بدون التاريخ – ط. الثانية.

٥٩. "روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط"، أيتين جلسون، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر – الأولى ٢٠١١ م.

٦٠. "سقراط، الرجل الذي جريء على السؤال"، كورا مسيون، ترجمة محمود محمد. ط مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ١٩٥٦.

٦١. "فلسفة الدين عند جوزيا رويس"، ترجمة: أحمد الأنصاري. ط . مركز الكتاب للنشر، مصر ٢٠٠٤م.

٦٢. "فلسفة الدين عند ولتر سيتس"، د. إبراهيم طلبة. ط دار المصطفى للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٣.

٦٣. "فلسفة الدين في الفكر الغربي" د. إحسان علي الحيدري، ط. دار الرافدين للطباعة، بيروت – لبنان.

٦٤. "فلسفة العصور الوسطى"، د. عبد الرحمن بدوي. ط دار القلم، بيروت، لبنان، الثالثة ١٩٧٩.

٦٥. "فلسفتنا"، محمد باقر الصدر . ط وزارة التعارف للمطبوعات، بدون الطبعة والتاريخ.

٦٦. "في تاريخ الفلسفة اليونانية"، د. عوض الله حجازي وآخرون. ط دار الطباعة المُحمدية بالأزهر الشريف، القاهرة. الثانية، بدون التاريخ.

٦٧. "قصة الفلسفة"، ويل ديورنت، ترجمة: أحمد الشيباني. ط المكتبة الأهلية، بيروت – لبنان. بدون الطبعة والتاريخ.

٦٨. "ما هي الفلسفة"، د. حسن علي. ط دار قباء القاهرة ٢٠٠٤ م.

٦٩. "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"، أبو الحسن الندوي، ط مكتبة الدعوة، مصر. بدون الطبعة والتاريخ.

٧٠. "مبادئ علم الاجتماع الديني"، روجيه باستيد، ترجمة: د. محمود قاسم. ط مكتبة الأنجلو المصرية، بدون ذكر الط والتاريخ.

٧١. "مُحاضرات في الفلسفة الحديثة والمُعاصرة"، د. عبد المقصود عبد الغني. ط كلية دار العلوم بالقاهرة، عام ١٩٨٢م.

٧٢. "مدخل إلى الفلسفة" : د. نجاح حسن، ط. الفتح للإعلام العربي، بدون الطبعة والتاريخ.

٧٣. "مدخل إلى الفلسفة"، جون لويس، ترجمة: أنور عبد الملك. ط دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. الثانية، ١٩٧٣.

٧٤. "مدخل إلى الفلسفة"، د. إمام عبد الفتاح إمام. ط دار الثقافة للطباعة والنشر – القاهرة، الرابعة ١٩٧٧م.

٧٥. "مدخل إلى الفلسفة"، د. فوقية حسين. ط شركة أخوان زرق للطباعة، القاهرة ١٩٨٢م.

٧٦. "مدخل نقدي لدراسة الفلسفة"، د. محمد عبد الله الشرقاوي. ط دار الجيل، بيروت – لبنان. الثانية ١٩٩٠.

٧٧. "مذاهب ومفاهيم في الفلسفة الاجتماعية"، د. عبد الرازق مُسلم الماجد. ط منشورات المكتبة العصرية، بيروت – لبنان. بدون الطبعة والتاريخ.

٧٨. "مصطلحات الفكر الحديث"، سامي خشبة، ط. مكتبة الأسرة الهيئة العامة للكتاب.

٧٩. "مقدمة العلوم والمناهج"، أنور الجندي. المجلد التاسع ط دار الانتصار، مصر.

بدون الطبعة والتاريخ.

٨٠. "مقدمة في الفلسفة العامة"، د. يحيى هويدي. ط دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة، التاسعة ١٩٧٩م.

٨١. "مُقدمة في الفلسفة"، د. يحي هويدي. ط دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، التاسعة ١٩٧٩.

٨٢. "منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية"، د. محمد محمد أمزيان. ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي أمريكا، ١٩٨١م.

٨٣. "موسوعة الأبحاث الفلسفية (الفلسفة الغربية)" ج١، تأليف مجموعة من الأكاديميين العرب. ط منشورات ضفاف المغرب بدون الطبعة والتاريخ.

٨٤. "موسوعة الفلسفة والفلاسفة"، د. عبد المنعم الحفني. ط مكتبة مدبولي ١٩٩٩م.

٨٥. "نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة"، د. راجح الكردي، مكتبة المؤيد، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٢هـ.

٨٦. "نوابغ الفكر الغربي"، د. طلعت عيسى. ط دار المعارف، مصر. الثانية بدون التاريخ.

٨٧. "واقعية بلا ضفاف"، روجيه جارودي، ترجمة: حلمي طوسون. ط. دار الكاتب العربي بدون الطبعة والتاريخ.

٨٨. الإسلام دين الإنسانية، د/ محمد البهي، ط. هدية مجلة الأزهر الشريف، شوال، ١٤٣٨هـ.

٨٩. الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل البخاري، ١١٨/٢، حسب ترقيم فتح الباري، ط. دار الشعب – القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٩٠. الدين – د/ محمد عبد الله دراز – ط دار القلم للنشر والتوزيع القاهرة – الخامسة ٢٠٠٦، وما بعدها.

٩١. فلسفة العصور الوسطى الأوروبية بين المادية والواقعية: د/ محمد السيد أحمد شحاته، بدون ذكر المطبعة، ط الأولى، ٢٠٠٢م.

٩٢. المعجم العلمي للمعتقدات الدينية – تعريب وتحرير: سعد الفيشاوي – ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧م.

٩٣. المعجم الفلسفي – د/ مصطفي حسيبة – دار أسامة للنشر والتوزيع – الأردن – عمان – ط ١، ٢٠٠٩م.

***

فهرس الموضوعات

	أ) الواقعية الساذجة	
	ب) الواقعية الجديدة	
	ثانيًا: الواقعية غير المباشرة، وتنقسم إلى:	
	أ) الواقعية التمثيلية	
	ب) الواقعية النَّقدية:	
	ثالثًا: الواقعية الفنِّية	
	رابعًا: الواقعية البراجماتية	
	خامسًا: الواقعية الإنجليزية الجديدة	
	سادسًا: المدرسة التجريبية على يد (جون لوك)	
	سابعًا: الواقعية التحليلية:	
	المبحث الثالث: موقف الواقعية من الدين.	
	المطلب الأول: الواقعية وإنكار الدين والزعم بعدم صلاحيته.	
	أهم الأمور التي ينبغي مراعاتها في علاقة الواقعية بالدين	
	الأمر الأول: أنّ الفلسفة الحقّة لا تعادي الدين	
	الأمر الثاني: مناوئة الفلسفة اليونانية القديمة للدين في بعض مراحلها	
	الأمر الثالث: ارتباط الفلسفة الواقعية بالدين منذ نشأتها	
	الأمر الرابع: ارتباط الواقعية في العصور الوسطى بالدين ومسايرتها للكنيسة	
	المطلب الثاني: الواقعية والدعوة لديانة الإنسانية بديلًا عن الدين.	
	أولًا: التعريف بمفهوم ديانة الإنسانية وبيان الهدف منها:	
	أ) التعريف بمفهوم الدين لدى مؤسس الواقعية (أوجست كونت):	
	ب) التعريف بمفهوم الإنسانية لدى الفلسفة الواقعية	
	جـ) الهدف من التسمية	
	د) أهم مؤهلات الاندماج في الإنسانية:	
	ثانيا: الجذور التاريخية لديانة الإنسانية.	
	ثالثا: أهم المُرتكزات التي استندت إليها الواقعية في دعوتها لديانة الإنسانية	
	١ . الثورة الفرنسية وأثرها في الدعوة لديانة الإنسانية	
	٢ . أفكار (سان سيمون) وأثرها في الدعوة إلى ديانة الإنسانية.	